من أدب المطاريد
ثرثره خارج نظام العالم

١٢

السائرون نياما

بيرل هاربور إيرانية .. ولكن في مزار شريف

قصة البيعة العربية للملا عمر

الأسير الأمريكي في أفغانستان .. خطوة أولي للإفراج عن جميع أسري الحرب علي الإرهاب

نحن .. و أفغانستان .. و إيران

كيف تعلن 3 حروب في 30 دقيقة ؟؟

مصطفى حامد

الفصل السادس: ص71

الملا " قندهارى بن لادن" .. آخر أطفال الزنـازين
دعوة لإقامة محميات طبيعية للعرب المنقرضين

ـ الـسـائـرون نـيـاما

الفصل السابع : ص74

كيف تصنع 3 حروب فى 30 دقيقة ؟؟
(رسالة إلى أخى الشيخ سعيد فى أفغانستان)

1 ـ حرب نووية على أمريكا.
2 ـ حرب على إيران.
3 ـ حرب على حزب الله.

.. السعودية فى قلب كل مسلم.
.. الجبهات المفتوحة والضربات فى العمق.

في أول الكتاب كلمة:

هل تملكون سوى دمى ؟؟
أما لسانى فهو لى
طالما هو فى فمى

(الشاعر/ عبد الرحمن الشرقاوى فى مسرحية شعرية عن جميلة بوحريد)

بلا مقدمات:

سؤالان أدهشانى ...
الأول يقول: لماذا تكتب ؟؟.
والثانى يقول: لماذا تكتب كثيرا ؟؟.

عن الأول أجيب بالقول أننى أكتب لأن البندقية سقطت من يدى عرضا، ولم أتمكن حتى الآن من إعادة إلتقاطها ـ لذا قررت أن ألجأ إلى القلم أقاتل به إلى حين.

عن الثانى أجيب بأننى لا أكتب كثيرا.. بل أكتب سريعا. والسبب هو شعورى بأننى قريب جدا من خط النهاية.. لذا فما أود قوله، أكثر من الوقت المتاح أمامى. ثم إن المصباح يعطى أكبر دفقة من الضوء فى اللحظة الأخيرة من حياته.
وكتاباتى الكثيرة كما يرى البعض، أو السريعة كما أرى، إن دلت على شئ فهى تدل على أننى "أحترق". وسوف أتوقف حتما عندما يتفحم الفتيل أو ينقطع تيار الحياة فجأة. فلا داعى لأن يقلق من كتاباتى أحد، فكل آت قريب.
لا أرغب فى كتابة تقديم لمحتويات الوريقات التالية. ولا أظنها فى حاجة إلى ذلك، فالإسم يكشف عن المحتوى.
ولكن أود القول بأن " السائرون نياما" يشكلون خطورة على أنفسهم.
أما " الثائرون نياما" فيشكلون كارثة على أنفسهم وعلى من حولهم.
وقالوا فى الأمثال أن النجار الماهر يقيس عشر مرات قبل أن يقطع مرة واحدة.
والمجاهد يمارس عملا أخطر بكثير من النجارة، لذا فعليه أن يفكر مئة مرة قبل أن يطلق طلقة واحدة. فبعد ضغط الزناد لايمكن إعادة الطلقة إلى مكانها مرة أخرى، وستأخذ الأحداث منحى آخر، فالطلقة تخلق دوما واقعا جديدا.
والمجاهد الحقيقى.. يفكر كثيرا .. ثم يتوكل على الله .. و يضغط على الزناد بثبات وثقة.

مصطفى حامد

الفصل الأول:

عملية الجيش الأمريكى فى هلمند

"خنجر" ولكن فى قلب أوباما

والجندى الأمريكى الأسير فى باكتيا خطوة أولى نحو الإفـراج عن جميع أسرى "الحرب على الإرهـاب"

بدأ الجيش الأمريكى منذ اول يوليو 2009 احدث جولاته فى حرب الأفيون الثالثة وهذه المرة فى قلب الهدف مباشرة فى ولاية هلمند التى تنتج 60 من أفيون البلاد، بما يزيد عن إنتاج باقى دول العالم المنتجة للأفيون مجتمعة.
وبدلا عن حقنات المسكنات التى يضخها "أوباما" فى عروق الإقتصاد الأمريكى المحتضر، ومليارات الدولارات المزيفة، فإن أفيون أفغانستان يعتبر علاجا وليس مسكنا. فهو يشكل الجزء الأعظم من تجارة مخدرات دولية تهيمن عليها الولايات المتحدة بدخل حقيقى غير معلن قد يصل إلى أربع ترليونات من الدولارات .. ولكن المعترف به "دوليا" أن ثمن المخدرات الخارجه من أفغانستان عند وصولها إلى شوارع الإستهلاك هو 400 مليار . وهو رقم إما أن الغرض منه المزاح .. أو أن يكون لمجرد منع الحسد ، ودرأ العين الشريرة لمن يحسدون الولايات المتحدة على ثرواتها الغالية وأخلاقياتها الرخيصة .

▢ كعادتهم فى التهويل والمبالغة يقول الأمريكيون أنها أكبر عملية للجيش الأمريكى منذ حرب فيتنام ذلك رغم قولهم أنهم حركوا فى العملية أربعة آلاف جندى أمريكى "قوة لواء تقريبا " يساندهم 650 جندى أفغانى . فاذا كانت قوة من لواء هى أكبرقوة يحركونها منذ حرب فيتنام ، فمعنى ذلك أن جميع معاركهم فيما بعد ذلك كانت مجرد "تهويل عسكرى" على قول بريجينسكى ـ يهدف إلى إستعراض قوتهم النارية وتقدمهم التكنولجى ـ أما المشاة فربما كانوا ديكورا يفيد فى الدعايات وليس لخوض معارك حقيقية.
هذه أذن أول معركة حقيقية للمشاة الأمريكيين ـ هكذا نفهم الأمر أما قول البعض أنها أول مرة يتوفر فيها حشد تكنولوجى وقدرات حركة سريعة وتنقل للقوات بواسطة طائرات الهيلوكبتر، فهو كلام فارغ ، لأن الجيش الأمريكى الذى دخل أفغانستان ثم العراق لم يدخلها على ظهر البغال ، فهو دوما يعانى من تخمة تكنولوجية زائدة جدا عن ما هو مطلوب عمليا ، بل ويتخطى مالدى جميع منافسيه أو أعدائه الحاليين والمستقبليين.
ومع ذلك فإن الجيش الأمريكى فى معركة هلمند الحالية لن يغير قانونا بديهيا فى دنيا الحروب ، قانونا يقول أن الإنسان المؤمن ـ وليس التكنولوجيا ـ هو سيد المعارك وهو من يحدد نتيجتها.
ورغم ذلك المستوى التكنولوجى الهائل، أسمى الأمريكيون معركتهم "الخنجر" وهو سلاح بدائى جدا ، يستخدمه الأفغان عادة فى قتل جنود العدو .

وكان الأجدر أن يكون إسم عمليتهم تلك "خنجر فى قلب الولايات المتحدة " لأن تلك هى النتيجة النهائية المتوقعة لحربها فى أفغانستان . ولسوف تنتهى هذه الدولة البشعة كما إنتهى الإتحاد السوفيتى منذ وقت قريب فى نفس أفغانستان .

□ كان فألا سيئا لهم أن يثلم حد "الخنجر" فى ولاية باكتيا ، قبل أن يتوجه إلى "قلب هلمند" . ففى اليوم السابق لعملية " الخنجر" وقع أول "جندى أسير" يفقده الجيش الأمريكى منذ حرب فيتنام (حسب علمنا) .
على أى حال ليس ذلك بالحدث البسيط ولا قليل التداعيات ، بل يمكنه أن يثير الكثير جدا من التطورات السياسية والنفسية السلبية فى داخل الولايات المتحدة. يتوقف ذلك على طريقة التعامل الأفغانية مع ذلك الملف بالغ الحساسية.
القضية ستكون شائكة لو أن الجندى الأمريكى وقع أسيرا فى يد حركة طالبان وليس غيرها ذلك لأن تجربة الحرب مع السوفييت أظهرت وضعا شاذا فى غالب الحالات ، عندما كان القتال تقوم به جهة معينة ، أما الغنائم والأسرى فى معظمها فتقع فى أيدى "جهات" لم تشترك فى القتال بل كانت تراقب وتتربص للإنقضاض على غنائم المعركة ، أيا كان الطرف الفائز أو الخاسر فيها .
(وذلك دور تفوق فيه للغاية القائد الأصولى حكمتيار وجماعته "حزب إسلامى" لذا تبذل باكستان الآن بتوجيه أمريكى جهدا كبيرا لإعادته إلى الساحة الجهادية مرة أخرى حتى لا تكون حركة طالبان منفردة بالساحة كاملة. وكان الزعيم الأصولى قد فقد صلاحيته عندما تخلت عنه باكستان بطلب أمريكى، حتى ينضم مع حكومة ربانى فى قتالها ضد طالبان فى عام 1996. والآن أعيد إعتماده باكستانيا.
لكن تماسك حركة طالبان ، وافتضاح دورة السابق جعل وزنه الميدانى محدود جدا حتى الآن) .

□ باكتيا كلها كانت فألا سيئا للسوفييت ، بل أن هزيمتهم واقعيا تمت هناك . وإذا ذكرنا باكتيا ذكر عالم الدين" جلال الدين حقانى " فى نفس الوقت.
وكما كان ذلك القائد الميدانى الفذ كابوسا للسوفييت ، فمازال يمثل الشئ نفسه الآن للأمريكين الذين يعرفون قدراته جيدا ويصفونه بأنه كان من أفضل "أو أفضل" القادة الميدانين فى أفغانستان فى حقبة الحرب السوفيتية .
وبما أن "حرب الأفيون الثالثة" تديرها أمريكا فى أفغانستان حاليا بعيدا عن الرصد الإعلامى الدولى ، فإن أكثر جوانبها يرقد فى ظلام التعتيم الأمريكى .
ولكن بذلك النذر اليسير من أشعة الضوء المتسربة من بين جدران التعتيم يمكن تخمين مدى المأزق الذى يعانيه الجيش الأمريكى فى باكتيا التى نادرا ما يذكر أسمها مكتفيا بتعريف عمومى عن موقعها الجغرافى فيكتفى بالقول " شرق البلاد" ولولا بيانات طالبان القليلة لظن الناس أن باكتيا رحلت عن خارطة أفغانستان .
ولكن بعد "الحادثة الفريدة" لأسر جندى أمريكى لأول مرة منذ حرب فيتنام (1965 - 1975) عادت باكتيا مرة أخرى إلى بؤرة أضواء كما كانت وكما يليق بها أن تكون. ولا ندرى أن كان الجندى الامريكى الأسير قد وقع فى قبضة حقانى أم لا.

ولكن إن حدث ذلك فستكون الورطة مضاعفة وربما خطيرة ـ لأن أمريكا لن تستطيع فى هذه الحالة إستخلاص أسيرها فى مقابل مبلغ زهيد من المال تدفعة لقائد ميدانى قروى يجهل وجود رقم أكبر من ثلاثمئة ..
فعند "حقانى" لن تكون القضية متعلقة بالأموال مهما كانت حجمها وأرقامها بل هى قضية سياسية ، والأهم أنها قضية "كرامة إسلامية " أهينت بشدة منذ أحداث سبتمبر وحرب اكتوبر 2001 الذى ضاعت فيها أفغانستان ونظامها الإسلامى "الإمارة الإسلامية " .

" **إن قواعد اللعبة قد تغيرت** ".. هكذا تبجح مرارا الرئيس الأمريكى السابق " جورج بوش " وحليفة التافه "تونى بلير" فى بداية "الحرب على الإرهاب " فى 2001 والتى شنوا فيها الحرب على الإسلام والمسلمين بداية من أفغانستان ثم تلتها العراق ، ثم لبنان وغزة حتى عادوا مرة آخرى فى محاولة أخيرة فى أفغانستان فى عهد أوباما.
كان المعنى هو أن حربهم ضد المسلمين لن تتقيد بأى قوانين حربية أو إنسانية كانت معروفه قبل ذلك التاريخ .
تعبير" حرب" الذى إختاروه جعل كل تحركاتهم تتم تحت ذريعة ضرورات عسكرية وضرورات السرية للحفاظ على الأمن الداخلى والخارجى لبلادهم .
وتعبير "تغيير قواعد اللعبة" كان يعنى أن القوانين المتعلقة بالأسرى قد تغيرت بالكامل.
فلا يشترط الآن أن يؤخذ الأسير فى ميدان المعركة وهو ما تعارقت عليه الإنسانية فى تاريخها كله.
بل أصبح الأسير يلتقط من الشوارع ويشترى من أسواق النخاسة بأسعار معروفة ومحدودة لكل "صنف " فالعربى له سعر وللأوزبكى سعر آخر وللشيشانى سعر ثالث وللباكستانى سعر رابع وهكذا ..
ولا يشترط أن يكون " الأسير" قد دخل المعركة أصلاً فأكثر الأسرى المسلمين فى سجون جوانتانامو ودول أوروبا والدول العربية ، أكثرهم لم يكن حتى قريبا من موقع المعركة وقت حدوثها أو له أدنى علاقة بأى شئ .
أما معاملة الأسرى ، فحدث ولا حرج. لم تتغير قوانين اللعبة هنا بل أزيلت تماما وأصبح "اللا قانون" هو القانون الفعلى .
التعذيب هو القاعدة ، وإهانة الآدمية هى القانون ..
بإختصار تصرفوا تصرف الآمن تماما من كل عقاب . وبالتأكيد فإنهم إعتقدوا بحصانة جنودهم من الوقوع فى الأسر.
أو غاب عنهم أن الطرف الآخر يمكنه أيضا أن " يغير قوانين اللعبة ".
وغاب عنهم أن أى لعبة لا تقوم إلا بطرفين، فإذا غير أحدهم قوانين اللعبة فإن الطرف الآخر يمكنه إعتماد تلك القوانين الجديدة نفسها .. أو أن يفرض قوانينه الخاصة الجديدة التى قد تكون هى الأخرى من خارج كل سياق.
فتغيير قوانين اللعبة ليس حكرا على أحد طرفى اللعبة دون الآخر .

لقد راهنوا أكثر من اللازم على ضعف الطرف المقابل وعجزه ، وأنه مهما فعل فلن يتمكن من هزيمتهم أو مجرد تحديهم ـ لأن موازين القوى كلها ـ فى صالحهم وتعمل ضد ذلك الخصم .
وفاتهم أن الأمبراطوريات الكبرى فى التاريخ إنما أزيلت بواسطة قوى أضعف وأكثر تخلفا ، وتعمل من خارج موازين القوى المتعارف عليها .
وكذلك هم الأفغان الآن .. والعراقيون .. والفلسطينيون ، واللبنانيون والصوماليون .. وقبائل باكستان .. الخ .

الكرامة مقابل الكرامة.. والأسرى مقابل الأسير.

قد يكون ذلك هو القانون الجديد فى حالة الأسير الأمريكى، الذى إن كان فى يد حقانى فهو فى يد "القوى الأمين". فلن يباع الأسير بثمن بخس دراهم معدودة . ولن يستبدل فى مقابل عدة أسرى . بل ستكون الصفقة طبقا لقاعدة : جميع أسراكم فى مقابل جميع أسرانا .
ذلك ممكن فقط إذا أديرت قضية الأسرى من موقع مركزية القيادة لدى الملا عمر بوصفه القائد الأعلى للمجاهدين فى أفغانستان ـ وبوصف حقانى واحدا من أفضل قواده الميدانيين .
ولن تكون تلك أول تجربة لمعالجة قضية أسرى بين المسلمين وبين "الجيوش" الغازية "يهودية" فى فلسطين ، أوصليبية " فى أفغانستان " .
فحماس مازالت تخوض منذ سنوات مفاوضات مع اليهود فى قضية " أسيرهم" فى مقابل أسرى المجاهدين لدى اليهود.
وحزب الله بقيادة "السيد حسن نصر الله" ، كانت ظروفه أفضل بكثير من ظروف حماس التى يطعنها "الأخوة" العرب وحكومة كرزاى " فى "رام الله".
بل أن حزب الله كان الوحيد فى تاريخنا الحديث الذى جعل من قضية إطلاق أسراه قضية خارج كل نقاش وأبعد عن كل مساومة .
وهذه نقطة ضعف رهيبة عانت منها "القاعدة" وقبلها الجماعة الإسلامية المصرية التى تركت شيخها فى سجون أمريكية واكتفت أن تدعو الله أن يفك أسره !! .
لعلهم فى إنتظار الملائكة أن تنزل لتحارب من أجله " إذهب أنت وربك فقاتلا.. " !!
فلم يتحرك من أجله أحد ولم يمتشق سيفا .. أو يرمى حجرا .. .
بينما خاض حزب الله حربا ضاريه ولم يتراجع أمام هجوم دولى إسرائيلى .. وربح المعركة وكانت يد الله فوق أيديهم ـ فلماذا يد سلفيننا الجهادية مكبلة ؟؟.
أم أن مدفعية التكفير هى فقط التى تعمل والمدافع الأخرى أصابها العطب ؟؟.
القوة هى الشئ الوحيد الذى يحترمه الغرب .. وبدونها لن يعود حق إلى أصحابه ولا أسير إلى أهله .

لا داعى إذن للإستعجال فى تبادل الأسرى .. وينبغى عدم التنازل عن قاعدة "**الجميع مقابل الجميع** " ومع إستمرار حربهم علينا يتزايد عدد أسراهم لدينا .
وعندنا أراضى أفغانية واسعة تحت سيطرة مجاهدينا . ومن ضمن استخدامات تلك

الأراضى ، سجن الأسرى، وحتى دفن جثث جنود قتلاهم التى لم يسحبوها فى أماكن سرية لأنها أيضا من عداد الأسرى التى يجرى التفاوض بشأنهم .
وإذا كنا نرغب فأراضينا المحررة تستوعب الآلاف من أسراهم ، ولدينا ما يكفى من الرجال لحراستهم ـ والإحسان إليهم ـ إلى أن يحين وقت التبادل .

- المقصود " **بالجميع مقابل الجميع** " هو أن التبادل يكون لجميع أسراهم فى مقابل جميع أسرانا طول فترة حربهم " ضد الأرهاب " والتى قالوا أن قوانين اللعبه فيها قد تغيرت.

ولذلك قد يلجأ المجاهدون الأفغان إلى إجراءات جديدة ، مثل:
1ـ تغيير "قواعد اللعبة " فى مسألة الحصول على الأسرى . والقبول بالمبدأ الذى أقره الخصم ونفذه بالفعل . وهو إختطاف المدنيين الذين لا شأن لهم بالمعركة ، سواء الذين كانوا قريبين من الميدان أم بعيدين عنه .
وجود الأرض والقدرة على المناورة فوقها والحفاظ على الأسرى من محاولات العدو الحصول عليهم بلا مقابل يتيح لنا الآن إتباع تلك القاعدة الجديدة هذا إن كنا متأكدين أن العدو لن يقبل بإطلاق جميع أسرانا فى مقابل أسير واحد لدينا، عندها قد يتوجب زيادة العدد بهذه الطريقة .
لابد من لفت النظر إلا أن أسرانا ليسوا متواجدين فى جوانتاناموا والسجون الأمريكية فقط ، بل موزعين فى سجون سرية مجهولة العدد. لذا يجب إرغام العدو على تقديم لائحه بأسماء أسرانا وأماكن تواجدهم. مع ملاحظة أن الأغلبية العظمى للأسرى لا ينتمون إلى أى تنظيمات، ولا تدافع عنهم حكومات بلادهم، بل تعتقلهم وتعذبهم "بالنيابة" رغم علمها أن لاشأن لهم بأى جريمة ـ هذا إن كان هناك أى جريمة فى الأساس.
طبعا الحكومات التى سمحت بوجود هذه السجون السرية على أراضيها، وتلك التى مارست التعذيب بالنيابة جميعهم شريك فى المسؤولية الجنائية.
والحكومات التى أرسلت الجيوش لمحاربة شعوبنا فى العراق وأفغانستان عليها مسؤولية كاملة عما حدث لتلك الشعوب وما حدث للأسرى جميعا. وبالتالى يمكن أن يتعرضوا لتأثيرات أى تغيير فى القوانين الخاصة بالأسرى.
يبدو إذن أن وجود أرض محررة ـ واسعة وتكفى للمناورة ـ تحت أيدى المجاهدين هو شرط أساسى للدخول فى تحدى تبادل الأسرى أو أى تغيير قد يحدث فى قواعد تلك اللعبة. وهذا الشرط يتعذر توافره سوى فى بعض الحالات، وعلى درجات مختلفة فليست الأوضاع فى غزة أو العراق مثلا تشبه تلك فى أفغانستان أو الصومال. وهنا قد تملى الضرورات إستحداث قوانين جديدة.

" ضبط النفس" بين التحلى والتخلى:

بريجنسكى مستشار الأمن القومى السابق للرئيس ريجان، قال أن أسلحة الدمار الشامل قد إنتشرت فى العديد من الأيدى. ولكن التحلى بضبط النفس مازال سائدا

منذ أن إستخدمت الولايات المتحدة القنابل الذرية فى ضرب اليابان. ولكن ذلك الإنضباط قد لايدوم طويلا.

المعنى بضط النفس فى كلامه هذا هم الأغنياء الذين يمتلكون تلك الأسلحة أما الفقراء فلا يمتلكون واقعيا سوى ضبط النفس.

وعلى الفقراء أن يشكروا هؤلاء الجبابرة على سعة صدورهم وتحملهم لسخافات الفقراء بدون أن يفرقعوا فى وجوههم أسلحة الدمار الشامل التى تطفح بها مخازنهم. بل على الفقراء أن يكتبوا أشعار الغزل فى فضائل الجبابرة الذين أكتفوا فى قتلنا حتى الآن بأسلحة مثل النابالم والفسفور الأبيض واليورانيوم المنضب والقنابل الفراغية وصواريخ " توما هوك" الموجهة بأشعة الليزر والأقمار الصناعية.

يقول الخبراء أنه من فضائل العولمة كان إنتشار " المعلوماتية" وأجهزة الحاسوب وشبكة الإنترنت. الشئ الذى مكن بدوره شباب فى الدول الغنية أن يمارسوا أنواعا من الخروج على القانون الذى جعل فى إمكان أفرادا قليلين ـ أو حتى شخص واحد ـ من فرض إرادته على دوله كاملة وتهديد " أمنها القومى" .

والتطورات يستدعى بعضها بعضا. وما كان حكرا على الغرب ينتقل ـ وإن متأخرا ـ إلى الشرق. والفقراء أغبياء ولكنهم أيضا قابلون لإكتساب المعرفة. وذلك مفيد لكنه قد يشكل خطرا فى بعض الحالات. فقد يبدأ الفقراء الذين تعلموا العبث بفاتيح الحاسوب والتسكع على الشبكة الألكترونية. وقد يعثرون على ما يقال أنة "قنبلة الفقراء" أو السلاح الجرثومى.

ولا يدرى أحد إن كان هؤلاء الفقراء، أو بعضهم، أو حتى أحدهم، يمكن أن يلزم نفسه بالإنضباط أو التحلى بضبط النفس الذى هو فضيلة يحتكرها الجبابرة ضمن باقى خيرات الأرض التى حازوها لأنفسهم.

من صبر هؤلاء الجبابرة أنهم يقتلوننا بأسلحة دمار شامل ولكن " منخفض الشدة " حتى نموت بالتقسيط المريح.

وحروبهم الجرثومية والبيولوجية لم تكد تتوقف ضد العالم الفقير منذ عقود خلت.

ـ شاهدنا (فى مصر مثلا) سلالات من الفئران لها قدرة تخريبية وقدرة على نشر الأوبئة. وهى "فئران سلام" من توليد "معامل سلام" فى إسرائيل، تنتج الجراثيم كما الأقراص المخدرة لشعب مصر وشعوب " الشرق الأوسط الكبير".

ـ وهناك أوبئة تفتك بمحاصيل حيوية لحياة شعوب فقيرة، مثل القمح أو القطن وغيرها. ولإسرائيل مكانة متقدمة فى ذلك المجال أيضا.

ـ وشاهدنا بعوضا ينشر "ملاريا مصفحة" تقاوم أى شئ. وهى صناعة أمريكية ظهرت فى أفغانستان لأول مرة عام 1989 أثناء معارك المجاهدين فى جلال آباد. ثم ظهرت بعد ذلك فى بلاد أفريقية منها السودان.

ـ وشاهدنا أمراضا فتاكة من إنتاج مصانع الجبابرة المتخمين. أمراضا وبائية مثل: الإيدز والسارز وحمى الوادى المتصدع... وفى الأخير وباء إنفلوانزا الطيور ثم إنفلوانزا الخنازير.

لم يعترف الكبار عن مسؤوليتهم عن كل ذلك أو الهدف منه. فالمشهور عن الإيدز مثلا أنه من إنتاج أحد معامل الأبحاث التابعة للمخابرات الأمريكية فى القارة المستباحة "أفريقيا".
وفى الأخير جاءت إنفلوانزا الخنازير التى تحولت إلى وباء عالمى ذو قدرة ضعيفة على القتل مع إمكان تحولها فجأة إلى وباء شديد الفتك فى أى وقت.
وهنا تشير أصابع الإتهام مرة أخرى إلى معامل وكالة الإستخبارات الأمريكية ـ أو وزارة الدفاع.
أصابع إتهام أخرى تشير إلى معامل شركات الدواء العملاقة، تلك الشركات تبتكر الجراثيم والفيروسات وتوزعها على خلق الله ، ثم تبادر مشكورة إلى إنفاق مالها لإختراع أمصال وأدوية لتوزعها حول العالم لإنقاذ البشرية. أثناء ذلك وبطريقة عرضية تماما، ربما تجنى المليارات التى بالكاد تطفئ نيران جشعها إلى أن يبتكر العلماء فى معاملها وباءً جديدا. وهكذا تنوعت الأوبئة فى العقود الأخيرة.
وهذا ما تفعله أيضا شركات السلاح العظمى فى الدول الفخمة. فهى تشعل نيران الحروب كوسيلة لجنى الأرباح من بيع السلاح للجيوش المتحاربة وحرق الأوطان على رؤوس ساكنيها.
وهكذا تفعل أيضا أجهزة الإستخبارات العظمى حين تختلق أخطارا وتبالغ فى تضخيم أخطار أخرى. وتشعل بأيديها مصائب مهولة تهدد بها أمن العالم، ثم... تبيع للدنيا سلعة الأمن المفقود. وهكذا جاءت أساطير الرعب من الخطر الشيوعى وأعقبه غول "الإرهاب الإسلامى" الموهوم.
لكن الأوبئة أثبتت أنها لاتحترم قوانين الجوازات والهجرة . ولا تراعى المقامات الإجتماعية أو حرمة الأقوياء والجبابرة. فالإيدز قد يصيب مواطنا لاقيمة له فى "بوركينافاسو" وقد يصيب مواطنا فخما فى مدينة "نيويورك".
الفرق يكمن فى أن الفقراء ليس لديهم الكثير ليخسروه سوى حياتهم التى ثبت بالقطع أن لاقيمة لها ولا يهتم بها أحد. بل أن موتهم غالبا ما يكون مطلوبا لتنشيط الدورة الإقتصادية فى دول الوفرة ولترويج سلع حيوية مثل السلاح أو تسهيل الحصول على سلع حيوية أخرى مثل النفط أو الماس أو اليورانيوم أوالذهب.
سؤال يفرض نفسه هنا، وقد طرحه البعض بالفعل، وهو:
ماذا لو فكر الفقراء والمستضعفون أن يغيروا هم أيضا قوانين اللعبة واستخداموا "لعبة الأوبئة" فى ملاعبة الكبار؟؟.
ليس لجنى الثروات كما يفعل غيرهم .. ولكن لمجرد الحصول على حقوق بديهية وطبيعية ظل الحصول عليها مستحيلا بأى طريقة متوفرة فى دنيا المتاح والممكن. مثل حق الحرية للأسرى مثلا.. أو إنصاف شعوب كاملة فقدت أوطانها .. وأخرى فقدت حريتها.. وأخرى حرمت من ثروات بلادها .. وأخرى لايمكنها مجرد الحلم بأن يحكمها نظام يعبر عنها ويحترم آدميتها ويحقق مصالحها ... إلخ.
فإذا كان الجميع يخسرون فإن الفقراء هم الفائزون.
أوليست هذه هى المعادلة؟؟.

لقد إنتشر وباء إنفلوانزا الخنازير فى العالم كله، وحتى الآن مات عدد قليل من الناس، وبدأت الأزمة فى دولة فقيرة من العالم الثالث هى المكسيك الملاصقة/ لسؤ حظها/ للعالم الأول. نشط الوباء عند تفشى أزمة مالية خانقة وخسرت بسببه دول العالم عدة مليارات من الدولارات. ولكن فى النهاية أين كانت الخسارة الأكبر؟؟. هل كانت فى المكسيك أم بنجالادش .. أم الولايات المتحدة ؟؟.

إذا وافق الفقراء أصحاب الشأن على المعادلة آنفة الذكر، فقد تتوالى سلالات من الإنفلوانزا أو أشياء مشابهة ، على قدر ما تسمح به حال المصنعين الفقراء الذين إذا إعتبروها "سلاحا" ، فهو سلاح لا يحتاج إلى صواريخ عابرة للقارات أو قاذفات إستراتيجية بعيدة المدى. فهى كائنات لطيفة تركب متن الهواء مجانا وتطير حيث تشاء ، لايوقفها أمن مطارات ولا قوائم مشبوهين.

قال وزير خارجية أمريكا السابق "جورج شولتز" : (إن المفاوضات تصبح محض إستسلام إذا لم تغمر ظلال القوة مائدة المساومات).

ومن القوة عند التفاوض على إطلاق سراح الأسرى أن يكون لدينا أسرى. فإن كان عددهم غير مقنع للعدو حتى يفرج عن (جميع) أسرانا فإن الجرثومى أوالفيروسى منخفض الشدة، أو حتى متوسطها، قد يضيف ظلالا كافية للقوة على مائدة المساومات، إلى أن يتحقق المطلب العادل بالإفراج عن (جميع) أسرانا من (جميع) السجون فى (كافة) القارات.

وبالمثل عند التفاوض بشأن الحصول على باقى الحقوق البديهية والمشروعة.

توالى ضغوط من ذلك النوع قد تبقى العدو فى كبوته الإقتصادية وتمنع خروجه منها. لأن خسائرها فى كل الأحوال باهظة الثمن إقتصاديا. والتكرار يحدث عاهات نفسية قد تؤدى إلى الجنون. فالرفاهية المادية التى هى غاية الحياة لديهم لن تكون متاحة فى ظل توالى أوبئة حتى ولو كانت منخفضة الشدة مثل إنفلونزا الخنازير أو متوسطة أو حتى شديدة مثل أشياء أخرى كثيرة.

وإذا تأخر التعافى الإقتصادى لمدة طويلة، وأجتماع الفقر إلى جانب المرض والخوف والتوتر وفقدان الأمل، تساوى بين الفقراء والإغنياء. و الفوز عندها سيكون للبؤساء الذين يعيشون تلك الحالة منذ قرون. أما جبابرة المترفين فإن أعصابهم لن تحتمل وسوف تنفجر تناقضاتهم الإجتماعية العميقة بكل العنف الوحشى الكامن فى نفوسهم والذى كان يكبله الرخاء ورنين الذهب المنهوب من خيرات الآخرين. كيانات عظمى قد تتفكك وتذهب أدراج الرياح.

أما إسرائيل ـ مركز القيح الإنسانى ـ فلن يتبقى فيها سوى العاجزين من صنف الفلاشا. وهؤلاء يمكن التفاهم معهم بأهون الأسباب. واستخدام الأحذية أرخص أحيانا من إستخدام الرصاص.

باكتيا الكبرى: لبيك هلمند

بيانات الجيش الأمريكى لا تصف الحقيقة. ولو كان فى نيتهم فعل ذلك لسمحوا للصحافة العالمية أن تحضر وتشاهد وتسجل.
لذا فالحملة الضارية على هلمند لا يمكن معرفة حجمها الحقيقى أو نتائجها إلا بعد تطاير غبار المعركة وبقاء نتائجها على الأرض.
الآن يمكن الإستنتاج من البيانات الرسمية أن هناك حملة على هلمند، عاصمة الأفيون فى العالم، هدفها المعلن الإستيلاء على وادى نهر هلمند ـ أى معظم الأراضى المزروعة بالأفيون. وأن توقيت الحملة كان أول شهر يوليو ـ أى بعد حوالى شهر ونصف من حصاد الأفيون، وبالضبط بعد نهاية تجفيفة ليرتفع سعره ويكون قابلا للنقل السهل. أى بوضوح أكثر فإن بداية العمليات متوافق مع بداية موسم بيع محصول الأفيون الجديد.
وهذا كافى لفهم أن هدف الأمريكان ليس ضرب محصول الأفيون (فالأنسب لذلك شهر يناير أو فبراير) أو تخريب موسم الحصاد (والأنسب لذلك شهر إبريل). وفى ذلك دليل كاف جدا لمعرفة أن هدفهم فى أفغانستان هو الحفاظ على ذلك المحصول الإستراتيجى، ولكن مع إبقائه فى القبضة الأمريكية فقط.
وحملة عسكرية واسعة مثل هذه وفى هذا التوقيت يكون هدفها هو إبعاد التجار عن المنطقة إلى حين يجمع الجيش الأمريكى/ مباشرة أو عبر عصابات كرزاى/ المحصول ويرسلونه إلى معامل تصنيع الهيروين فى القواعد الجوية فى قندهار وباجرام.
تأجيل حملة عسكرية كبيرة إلى هذا الوقت المتأخر ومع بداية الصيف لايمكن أن يكون الهدف منه عسكرى، أو كما يقولون توجيه ضربة لقوات حركة طالبان فى المنطقة، فذلك الهدف خارج قدرات كل القوات الأمريكية والحليفة.
فالحملة بدأت فى حرارة عالية جدا لايتحملها إلا أبناء المنطقة الذين ولدوا فيها. ولم يكن ذلك ممكنا لأى جيش أجنبى، بريطانيا أو سوفيتيا أو أمريكيا.
والذى يشاهد صور الجندى الأمريكى فى قندهار أو هلمند وهو يحمل على ظهره حمولة يعجز عنها بغل أسترالى يشعر بالشفقة على ذلك الحمار.
بالنسبة لغير أبناء المنطقة فإن أنسب الأوقات للقيام بعمليات عسكرية واسعة يشارك فيها المشاة هى الفترة الواقعة بين شهرى أكتوبر ومارس. فالجو فيها يتراوح ما بين البرودة والإعتدال. أما القتال فى لهيب الصيف فهو حتما فى صالح المقاتل المحلى، الذى لايمكن مجاراته فى تحمل ذلك المناخ القاسى الذى يضاف إليه الإرهاق النفسى لأجواء المعركة مضافا إليها الجوع والعطش والإرهاق البدنى. وقتالهم فى هلمند، مثل معظم مقاتلى الصحارى، يهجمون فجأة وبقوة مثل الإعصار، فإذا لم يحققوا نصرا واضحا إنسحبوا بسرعة بدون أن يتركوا وراءهم أثر. وهكذا طردوا السوفييت من أراضيهم رغم قلة الجبال عندهم.
إذن هذه العملية العسكرية ليست عملية "الخنجر" كما أسماها الأمريكان بل هى عملية "الشوال"ـ وهو كيس حمل الأفيون. وعدد تلك الشوالات هو معيار النجاح الحقيقى فى تلك الحملة ، وليس عدد جثث القتلى من الأهالى أو مساحات الأرض وعدد القرى التى تدخلها تلك القوات. فمعروف أن قوات حرب العصابات "مثل

طالبان" لاتهتم بمساحات الأرض ولا بقيمتها الإستراتيجية قدر إهتمامها بإستنزاف قوات العدو وإرهاق أعصابة بالضربات الصغيرة/ والكبيرة أحيانا/ والمناوشات المستمرة حتى ترهق أعصابة وتدفعه فى النهاية إلى الإنسحاب. وتلك هى القصة الأبدية والأزلية لحروب العصابات فى كل زمان ومكان.
ولكن حملات كبيرة كهذا " الخنجر" الأمريكى الصدئ، تتيح الفرصة للجيوش حتى تمارس حربا نفسية على عدوها وحملة تضليل للرأى العام بإعلانها عن إنتصارات وفتوحات وتحرير مناطق، وأعداد لجثث مدنيين قتلتهم وتدعى أنهم من " المقاتلين الأعداء". ولكن إدعاءات كهذه أصبحت فاقدة للمصداقية وقليل هم من يصدقونها، خاصة وأن قائلوها هم الأمريكان... أحباب الشعوب.

☐ حجم القوات التى تهاجم هلمند حاليا غير معروف. ومن الصعب تصديق أن القوات الأمريكية هناك هم مجرد أربعة آلاف جندى، يرافقهم 860 جندى أفغانى. فهذه أرقام تافهة للغاية بالنسبة للهدف الرسمى المعلن وهو السيطرة على وادى نهر هلمند. لكن هناك حملة بريطانية فى هلمند أيضا لم يفتضح أمرها إلا بعد الإعلان عن مصرع ضابط بريطانى برتبة مقدم، وهو الأرفع رتبة الذى تفقده بريطانيا فى أفغانستان والأول من نوعه أيضا منذ حرب فوكلاند فى الثمانينات الماضة. الضابط البريطانى قيل أنة كان على رأس حملة قوامها 650 جندى بريطانى. فتلك الدولة التى غزت أفغانستان ثلاث مرات وفشلت، لها الآن تسعة آلاف جندى فى أفغانستان كلهم ، تقريبا، فى هلمند.
ولا يعلم أحد إن كان الهجوم على هلمند منسقا بين الحليفين أم أن كل منهما يعمل لحسابه الخاص لأجل تجميع أكبر قدر ممكن من " شوالات" الأفيون قبل أن " ينفض المولد" وينهار الوضع كله فى البلد وتفر القوات المحتلة فجأة وعلى حين غفلة، كما فعل البريطانيون أنفسهم فى أفغانستان منذ نحو قرن من الزمان.
هذا ويشارك الجيش الأفغانى بحملة خاصة به على هلمند فيما يبدو أنه حملة لصالح كرزاى وبعض جنرالات الجيش فى موسم السباق المحموم لجمع نصيبيهم من " الحصاد الأخير" للأفيون فى عهد حكمهم وحكم الإستعمار الأمريكى البريطانى لأفغانستان.
الأهم فى أنباء تلك الحملة هو ما أعلنته القوات الأمريكية من أنها (تخوض حربا ضارية) فى إقليم باكتيا. لم يحددوا موضعا بعينه لكن الأرجح هو خوست قياسا على أنباء متفرقة ومتتالية على مدى زمنى طويل بما يشير إلى أنها البقعة الأخطر فى باكتيا. وقد كانت كذلك أيضا فى الحقبة السوفيتية. ثم بيانات إضافية عن معارك فى "باكتيكا" ـ الإمتداد الطبيعى لباكتيا والتى فصلها الشيوعيون إداريا، وهناك شارك الهيلوكبتر فى إنقاذ الجنود الذين قتل بعضهم.
يلفت النظر هنا الإستجابة العبقرية لمجاهدى باكتيا لفتح جبهة قتال قوى ضد الجيش الأمريكى وحلفائه حتى لايتم لهم الإستفراد بولاية هلمند. وهذا ما لم يحدث مطلقا طوال الحملة السوفيتية على أفغانستان حين كان لحكومة باكستان اليد لطولى فى توجيه العمل الإستراتيجى للمجاهدين.

و" حقانى" تحديدا يدرك أهمية مناورة فتح جبهة قتال ثانية من أجل تشتيت قوات العدو ومنعها من الإستفراد بأحد الجبهات الهامة. فهو أكثر من تضرر من إستفراد السوفييت به فى عدة مناسبات كلفته غاليا فى أرواح أفراده وقادته الكبار، بينما كانت الجبهات الأخرى فى غيبوبة أو تواطؤ صامت.
إذن إمتلك المجاهدون الآن وحدة القيادة الإستراتيجية والسياسية متمثلة فى "الملا عمر" الذى هو الآن أمير على قادة ميدانيين من وزن "حقانى" ، وآخرون بالمئات من كنوز الخبرات الميدانية عبر عقود من الجهاد، ينقلونها الآن فى كل ساعة لآلاف من شباب الأجيال الجديدة.
لو صدقنا الأرقام الأمريكية فستكون قواتهم التى تهاجم هلمند هى فى حجم لوائين ، بحساب قوات الجيش الأفغانى المرافقة لهم. وربما كان البريطانيون يهاجمون بقواتهم وقوات الأفغان بإجمالى لواء آخر. أى أن هلمند واقعة تحت هجوم من فرقة عسكرية أى حوالى 12000 جندى تقريبا.
فكم إذن سيدفعون من قوات حتى يخمدوا هجمات باكتيا ؟؟، بل وباقى الجبهات التى بدأت تنشط بالتتابع إستجابة لدعم هلمند. جبهات فى الغرب والشمال وفى مواضع لم تكن مشهورة بالنشاط الكبير.
نذكر هنا بخبرة تاريخية فى باكتيا تقول أن السوفييت هاجموا قاعدة جاور التابعة لجلال الدين حقانى مرتين، الأولى فى عام 1985 والثانية فى عام 1986 وكانت الأعنف إذ هاجموا بقوة مقدارها 30,000 جندى ثلثهم تقريبا من السوفييت، يدعمهم غطاء جوى من طائرات مازالت تعتبر حتى الآن من أفضل الطائرات فى العالم.
وبعد 28 يوم من معارك المتصلة ليلا ونهارا تمكنت تلك القوات من دخول جاور والبقاء بها حوالى 18 ساعة فقط ثم الإنسحاب فجأة قبل أن تغلق عليهم الطرق ويقعون فى حصار. هذا مع العلم أن قاعدة جاور عبارة عن وادى ضيق بين الجبال وتقدر المساحة المأهولة منها حوالى كيلو متر مربع واحد.
فكم تحتاج الولايات المتحدة من قوات حتى تهاجم باكتيا الكبرى (باكتيا وباكتيكا)؟ وكم تحتاج لمهاجمة هلمند العظمى (هلمند، قندهار، زابل، أرزجان) أى الولايات الذهبية التى ركزت فيها الولايات المتحدة معظم الثروة الأفيونية، بعيدا عن التغول الروسى الزاحف بإصرار من الشمال، والتطفل الباكستانى اللزج الزاحف صوب جلال آباد..
هذا ويتساءل كثيرون عن النتائج المتوقعة للهجوم الأمريكى البريطانى على هلمند. ونقول أن النتيجة واضحة تماما... فالجيش البريطانى فى حملته الثالثة التى شنها على أفغانستان فى بدايات القرن الماضى، لم يستطع أن يسحب من قواته الغازية سوى جندى واحد، أما باقى القوات فقد أبيدت عن آخرها على الطريق الواصل بين كابل وجلال آباد.
وسوف يكون الجيش الأمريكى " مسعدا جدا" و " مبختا للغاية" لو إستطاع أن يحرز مثل ذلك الإنجاز وينجو ولو بجندى واحد من قواته فى أفغانستان..
... والزمان بيننا.

إنها آخر حروب الأفيون فى العالم.. وآخر الغزوات الخارجية فى حياة إمبرطورية العار الأمريكية.

....

....

....

فصل الثانى:

قصة البيعة العربية
لأمير المؤمنين " الملا محمد عمر"

أولا: 1998 (بيرل هاربور إيرانية)
.... ولكن فى مزار شريف

كانت مأساة القنصلية الإيرانية فى مزار شريف فى صيف 1998 عنصرا هاما فى " كيمياء السياسة التحويلية" التى نبغ فيها عبقرى طهران " الشيخ هاشمى رفسنجانى" فى معمله المسمى" تشخيص مصلحة النظام" .. عالم الدين والدنيا صانع الملوك والمدير الحقيقى لكل شئ فى العاصمة والدولة.
بتلك اللمسة السحرية فى مزار شريف بلونها الدموى، تحولت مشاعر العداء الشعبى والحكومى فى إيران من أمريكا(الشيطان الأكبر) إلى عدو بديل أقوى وأكثر خطورة هو حركة طالبان.
وبما أن تلك الحركة المتطرفة (طالبان) تشكل خطرا على كل الدنيا بما فيها الولايات المتحدة، فالأمر يستدعى بالضرورة تحالفا إيرانيا أمريكيا لإنقاذ العالم والقضاء على حكم طالبان فى أفغانستان.
وعندما إحتل الأمريكيون أفغانستان ومعهم حلف الأطلنطى وحوالى خمسين دولة أخرى، طبلت الدعاية الحكومية فى إيران وأشادت بالحكمة السياسية لنظامهم البارع الذى سخر قوة أمريكا لخدمة أهدافة فى إسقاط حركة طالبان أخطر أعدائه فى المنطقة. وكلما كانت الكذبة ضخمة وسخيفة صدقها كثيرون.
لاشك أن الرئيس الأمريكى " جورج بوش" هو المسئول الأول عن قتل مواطنيه ضمن مؤامرة 11 سبتمبر الكبرى والتى مازات أسرارها طى الكتمان الكثيف حتى عن نواب الشعب. والأرجح انها ستظل كذلك إلى الأبد كما حدث مع أسرار حادثة بيرل هاربور التى إستدرجت إليها اليابان بشكل متعمد كما إستدرجت بن لادن إلى كارثة 11 سبتمبر.
ولاشك أيضا أن الرئيس الإيرانى "محمد خاتمى"، وبصورة متطابقة تماما، هو المسئول الأول عن مقتل دبلوماسييه(الأحد عشر أو التسعة على إختلاف فى التقديرات) فى مجزرة القنصلية الإيرانية فى مزار شريف فى صيف عام 1998.
قام ذلك الحادث بنفس الدور الوظيفى الذى قامت به أحداث بيرل هاربور وسبتمبر وتحمل نفس اللمسات. بما يشير عند البحث إلى أن العقلية المخططة هى نفسها. أما التنفيذ الميدانى أو بالأحرى اليد التى ضغطت على الزناد فهى مسألة متغيرة. وإن كانت ملابسات الظروف وقتها تشير بقوة إلى أن التعاون الأمريكى الإيرانى كان

ضروريا من أجل ضمان النجاح. فالقنصلية الإيرانية وقتها كانت تقوم بدور أكبر بكثير من مجرد قنصلية، وكانت تدير واقعيا تحالف الشمال وتشكل مع الروس الأطراف الحقيقية التى تشعل الحرب ضد طالبان.

فى نفس العام 1998 نفذت عملية "بيرل هاربور" فى "مزار شريف" والتى كانت خطوة هامة للضربة العسكرية القادمة ضد نظام الإمارة الإسلامية فى أفغانستان. فى "مزارشريف" لم ينتبه أحد إلى حقيقة كونها أكبر عمليات التمهيد للحرب القادمة على أفغانستان.. حرب دولية.. بقيادة الولايات المتحدة، وتضم فى ركابها جمهورية إيران الإسلامية!!.

وهو أمر كان، وإلى وقت قريب للغاية، خارج كل تصور معقول ومنطقى، حتى خرج رئيس الجمهورية السابق خاتمى وهو يتحدث إلى التلفزيون البريطانى وبكل صفاقة عما قام به من "بطولة". وظهر أيضا عالم الدين والكيمياء السياسية "الشيخ رفسنجانى" الذى أهدى المحطة التلفزيونية شريطا وثائقيا يعرض لأول مرة، ويظهره وهو يملى على مجلس خبراء القيادة عملية إختيار السيد الخامنئى خليفة للإمام الخمينى عقب وفاته، كل الوثائق التى قدمها رفسنجانى كانت وصية شفوية من الإمام الراحل كان هو سامعها الوحيد!!... وقد علق المذيع البريطانى على ذلك بقوله أنه يبدو أن رفسنجانى يملى علي أعضاء المجلس ما يجب أن يفعلوه. الرسالة كانت واضحة وهى أن صاحب "مجلس تشخيص مصلحة النظام": هو صاحب كل قرار، وصانع السياسات، والملوك، ورؤساء الجمهورية، وعاكس المسارات السياسية، من أقصى العداء إلى أقصى الصداقة. وبطل "الحرب المفروضة" مع العراق ، وبطل "الحرب المحتومة" على أفغانستان.

كشف خفايا مجزرة "مزارشريف" مسألة غاية فى الأهمية لأنها مازالت متعلقة بمشكلات حادة وصراعات دامية تهدد بالمزيد من سؤ الفهم وربما الحروب فى المستقبل القريب والبعيد.

ولعل أهم مسئوليات حكومة الرئس نجاد هى فتح تحقيق حول حقيقة ما دار فى مجزرة مزارشريف" وتحديد الجناة ومعاقبتهم. مع ضرورة جعل التحقيقات علنية وتجنب الأسلوب الأمريكى فى إخفاء الحقائق وحماية كبار المجرمين وإلصاق التهم جزافا بأطراف خارجية هى أضعف من أن تدافع عن نفسها حتى لو أعطيت لها فرصة لذلك.

لهذ التحقيق أهمية كبرى لإيران قبل أى طرف آخر. لأن ذلك الحادث رافقه سطو غير دستورى على السلطة، مع إلغاء فعلى لأهم فقرات الدستور، والتعدى على صلاحيات المرشد الأعلى للثورة، بل وحصارة فى بوتقة معلوماتية مضللة تماما. إضافة إلى ضخ كمية هائلة من الأكاذيب على الرأى العام الداخلى لتغيير قناعاته واستبدال قائمة إهتماماته وعداواته وصداقاته وتصوير أهم أعدائه وأخطرهم على أنهم حلفاء وتصوير الجيران المسلمين على أنهم أعداء قتله معتدين.

بل رافق ذلك حملة تحقير لرجال الدين فى إيران نفسها وشوهدت على بعض جدران العاصمة عبارات مسيئة على غرار (أيها الطالبان عودوا إلى أفغانستان) والمقصود هنا علماء الدين الثوريين (المتشددين) فى داخل إيران.
بدون ذلك التحقيق قد لاتعود المياه إلى مجاريها بين الرأى العام السنى وإيران. نتكلم عن ذلك الرأى المستنير الذى ظل معجبا بإيران وثورتها وإنجازاتها ومواقفها الحرة المستقلة، إلى أن وقعت كارثة التعاون الإيرانى الأمريكى فى ضرب أفغانستان وإحتلالها، ثم تكرار التجربة مرة أخرى فى العراق وإغراقها فى الإحتلال والقتال الطائفى وإضعاف المقاومة المسلحة حتى الشيعى منها.
مجزرة "مزارشريف" كانت علامة فارقة فى تاريخ إيران الحديث. وكشف ملابساتها قد يكون مدخلا لا محيد عنه لتفادى الفتنة الطائفية التى تزكى نيرنها أمريكا وإسرائيل ودول الإعتدال العربى. هذا وإلا فإن إيران قد تكون شريكا فى الفتنة كنوع من الدور الإقليمى الذى تنادى به لنفسها منذ مساهماتها فى كوارث أفغانستان والعراق.

ليس إذا مستغربا إذا جعل الرئيس نجاد على رأس أولويات حكومته الجديدة التحقيق الجدى فى مجزرة "مزار شريف" حرصا على بلاده قبل كل شئ، وحرصا على مصير المسلمين فى المنطقة والعالم والذى سيكون مهددا بشدة إذا إستمرت مسيرة الثورة المضادة التى سيطرت بطريقة غير دستورية على صلاحيات الحكم فى بلاده، والتى أودت بمصائر شعبين هامين فى أفغانستان والعراق.

كانت مجزرة القنصلية الإيرانية فى "مزارشريف" خطوة مهمة دشنت مرحلة التحالف الإستراتيجى بين إيران والولايات المتحدة بهدف (مكافحة الإرهاب والتطرف الدينى) ـ أى الثورة الإسلامية فى العالم السنى ـ فى الدول المحيطة بإيران مثل أفغانستان وباكستان والعراق. وهو نطاق إستراتيجى لتحالف قد يمتد لأوسع من ذلك حيث أن الأسطول الإيرانى قد أرسل مؤخرا بعض قطعه إلى بحر العرب ومداخل البحر الأحمر فى مجهود دولى شعارة (مكافحة القرصنة) وهو إصطلاح مخادع ومجرد تفريع ثانوى للشعار الأكبر (الحرب على الإرهاب). وتعبير "القرصنة" هو مجرد إرهاب لجوعى الصومال الذين نهبت أساطيل العالم ثرواتهم السمكية الكبيرة، وقذفت فى مياههم النقية كافة النفايات السامة للعالم الصناعى المجرم. لهذا تكاتف مجرمى العالم وسفاحيه لقتل الجوعى الذين أخرجهم الجوع إلى عرض البحر شاهرين على الناس سيوفهم!!.. ألم يؤيد ذلك، بل وعده واجبا، "أبو ذر الغفارى" رضى الله عنه.. بل واستنكر ألا يفعل ذلك المسلم الجائع الذى لايجد قوت يومه؟؟. أم أن حب أمريكا والرغبة فى كسب رضاها أنسى أحباب ذلك الصحابى الكريم أن يذكروا إسمه، بل وأن ويرسلوا مدمراتهم لقتل من أحيا سنته المباركة ؟؟!!.
(سألت نفسى سؤالا إفتراضيا: هل إذا شاهدت إحدى المدمرات الإيرانية الصحابى "أبو ذر الغفارى" داخل أحد القوراب الخشبية "للقراصنه" الصوماليين فهل كانت

ستطلق عليه النار؟؟ أم أنها ستلقى عليه القبض وتسلمه للعدالة الأمريكية والدولية ؟؟.
فوجدت أنها إحتمالات لها وجاهتها إذا كانت ستؤدى إلى رفع العقوبات الدولية أو إلى رفع الحظر عن البرنامج النووى الإيرانى . أما إذا تعلق الأمر بمنح إيران دورا إقليميا يتناسب مع قدراتها فإن البعض فى طهران ربما كان مستعدا لتأجيل .. أو حتى إلغاء ظهور المهدى المنتظر. ولا تسأل عندئذ عن "أبى ذر" الذى قد يصبح لقبه لدى البعض فى طهران "أبوذر الإرهابى")

إن التواجد البحرى الأمريكى الإسرائيلى فى بحر العرب والأحمر ومقابل القرن الأفريقى مرتبط بأهداف غاية الخطورة ليس هنا مجال تفصيلها. ومعلوم أن أهمها يرتبط بالمقدسات الإسلامية فى جزيرة العرب. وليس أقلها نهب مياه النيل وبيعها لشركة عابرة للقارات يهودية التمويل مع ستار تمويه من السعودية والخليج. سيدخل مع النيل بالطبع شقيقاه دجلة والفرات بنفس الأسلوب ونفس العصابة مضافا إليهم تركيا بصفتها دولة منبع للنهرين الأخيرين،(واضح أن ذلك إخراج عصرى لتمليك النيل والفرات لإسرائيل تحقيقا للنبوءة التوراتية، وهم الآن بصدد تخريج عصرى لحرب كونية "هرمجدون" تمهد لظهور السيد المسيح وبناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى).
وذلك سبب جوهرى للتقارب الأخير والفجائى لعصافير الكناريا فى الخليج مع الفارس العثمانى فى إسطمبول والذى قالت عنه تلك العصافير أنه جاء لمعادلة (التهديد الإيرانى ـ الذى قد يجعلونه ذريعتهم لتدشين حرب نووية كونية) وكأن أمريكا وفرنسا وبريطانيا والأطلنطى لاتكفى جميعا لمواجهة ذلك "التهديد" الإيرانى الذى بالكاد يستطيع الدفاع عن أرضة وتوجيه ضربة رادعة ضد إسرائيل عند الضرورة القصوى، إذا توفرت لديه قوة الأعصاب التى تظهر حينا وتختفى أحيانا كثيرا.

000000000
000000000
000000000

ثانيا: عرب فى غيبوبة الخلافات

فى عام 1998 أيضا كان الجانب العربى فى أفغانستان يسير هو الآخر صوب حرب مكشوفة مع الولايات المتحدة . لكنه كالعادة يسير على غير بصيرة. وبمعنى أوضح كان يقوم بكل مايلزم من أعمال تستدرجه إلى فخ محكم وهزيمة مؤكدة .
تزايد نشاط بن لادن إعلاميا ، مع إستدراج الإعلام الدولى له وتضخيم صورته والتهويل من حجمه . وتمادى هو معهم فى نفس الإتجاه ، ظانا أنه بذلك حقق نجاحا سهلا ساقه إليه القدر .

تزايد التواجد العربى فى أفغانستان تحت تأثير ذلك الزخم الإعلامى. كان هدف الكثيرين هو الإلتحاق بالركب المنتصر الذى يمثله بن لادن والقاعدة .
وعندما حدثت ضربة أفريقيا ضد سفارتى أمريكا فى كينيا وتنزانيا (أغسطس 1998) ، زاد التدفق البشرى من الشباب العربى صوب أفغانستان التى أصبح لها جاذبية لا تقاوم يعود معظمها إلى بن لادن شخصيا ، والأقل لكونها " إمارة إسلامية " تحكم بالشريعة الإسلامية ، وترحب بالمجاهدين العرب المضطهدين والملاحقين فى كل مكان .

□ مع تزايد عدد العرب فى أفغانستان ، تزايدت معهم الخلافات والإنقسامات . ولم تكن ظروف العرب ولا ظروف أفغانستان تسمح بذلك . ولكن الظاهرة ظلت تتفاقم . ومع كثرة الجماعات زادت معسكرات التدريب .
والأخطر أن كل جماعة حاولت ونجحت فى إستقطاب عدد من شباب طالبان بل وقيادات من الصف الثانى ومادون ذلك .
كانت بوادر "تعريب" لحركة طالبان مذهبيا وسياسيا . ومن المنطقى أن الصدامات المسلحة والإنقسامات فى الحركة ستكون هى الخطوة التالية ، لولا وجود القيادة الجامعة المانعة التى يمثلها " الملا محمد عمر " ومنصبه المهيب والخطير " أمير المؤمنين " . ولكن المتأمل للوضع وقتها يصل إلى إستنتاج أن الطوفان قادم لامحاله بعد رحيل ذلك الرجل لأى سبب .
(والاعداء الذين وصلوا إلى تلك النتيجة حاولوا إغتيال الرجل فى حادث تفجير شاحنة أمام منزله فى قندهار فى أغسطس عام 1999).
ظهرت قيادات عربية عديدة تعارض بن لادن وكلها يركز على العودة إلى المجابهة المحلية مع أنظمة حكم عربية ، وأن التحول الى "مواجهة عالمية " مع الولايات المتحدة غير مناسب وغير ممكن حتى تحت شعار تحرير المقدسات الإسلامية والذى رفعه بن لادن .
تقدم بعض هؤلاء ، مستعينين بأنصارا لهم فى حركة طالبان ، بطلبات للملا عمر من أجل دعمهم ومن أجل عدم إستفراد بن لادن بالساحة العربية فى أفغانستان، وبعض هذه الطلبات وجدت أذانا صاغية .
إذن الإنقسامات العربية تحركت تدريجيا لتصبح إنقسامات فى حركة طالبان وهى مرشحة للتصاعد والوصول إلى مركز الإمارة فى قندهار .

القبيلة العربية .. وبيعة أمير المؤمنين

فى خريف 1998 تقدمت بإقتراح إلى أبوعبدالله "أسامة بن لادن" فى حضور الشهيد أبو حفص وبعض المقربين إلى بن لادن .
يقول الإقتراح أنه طالما نحن العرب نعيش فى إمارة إسلامية لها أمير هو موضع أجماع القبائل ، فلماذا لا يكون هو أيضا أميرا لكل العرب ونستغنى عن كل هذه الجماعات العربية المتنافسة دوما والمتناحرة أحيانا .
فإننا ينبغى ألا نعيش فى أفغانستان بإعتبارنا ضيوفا. بل علينا أن نتحول إلى مواطنين ، خاصة وأن عودتنا إلى بلادنا تبدو مستحيلة فى الظروف الحالية وإلى أجل غير محدد . فلا ينبغى أن يكون هناك أمراء عرب وجماعات عربية فى أفغانستان بل يجب أن يكون الملا محمد عمر هو أمير للعرب يبايعونه كما بايعه باقى الأفغان .
كما لا ينبغى أن يعيش العرب بصفتهم أفردا أو مجموعات صغيرة من بقايا "جماعات إسلامية " ظهرت فى وقت معين فى الدول العربية. وأغلب هذه الجماعات لم يعد قائما على أرض الواقع ، فقد تفككت فى بلادها وتشرد أفرادها فى أصقاع العالم . فما الداعى للتمسك بذلك " التاريخ " وفرضه على أفغانستان فى شكل بؤر صغيرة ومعسكرات تدريب لا قيمة عملية لها سوى التنافس والتظاهر بأن هناك شيء ما بينما لا يوجد شيئ فى الحقيقة ؟ .
الأفضل إذن ان يتجمع العرب فى إطار كتلة عربية واحدة تدير أمورها الذاتية. فأفغانستان تفتقر إلى أجهزة الدولة التى يمكن أن تدير شئون الأفراد . خاصة إذا كانوا من الأجانب . فكل فرد فى أفغانستان يدير حياته من خلال القبيلة. والدولة تتعامل مع قبائل ، وحتى إذا تعاملت مع فرد فإنها غالبا ماتعود به إلى قبيلته وتحل مشاكله من خلالها . والدولة "حتى إذا أعيد بناؤها " فإنها تصبح ميزانا للعلاقات بين القبائل المختلفة تحل مشاكلها وتجمعها فى إطار أوسع هو الدولة .
إذن نحن فى حاجة إلى تكوين " قبيلة عربية " تدير شئون أفرادها فى العمل والسكن والتعليم . ثم النواحى الحساسة مثل الأمن الداخلى والدفاع " وبالتالى تنظيم التدريب العسكرى للأفراد، خاصة وأن التجمع العربى هوالأصغر فى أفغانستان ومع ذلك فهو الأكثر إستهدافا من الخارج ، بل أن الإمارة كلها مستهدفة بشكل خطير .
إذن القبيلة العربية ستكون كيانا إجتماعيا وليس سياسيا . وللأفرد داخلها كل الحرية فى أن يكون لهم مزاجهم السياسى الخاص ، وآرائهم المستقله ، ومذهبهم الذى يرتضون لأنفسهم ، أى أن من أراد منهم أن يظل سلفيا فليفعل ومن أراد أن يكون على مذهب أبى حنيفة مثل باقى عموم أهل البلد فله ذلك(وهو ما كنت أفضله شخصيا لتحقيق التجانس بين العرب وباقى الأفغان بدلا من العداوة المذهبية التقليدية بين السلفيين والأحناف) .
لم يكن إقتراح تشكيل (القبيلة العربية) موضع ترحيب. ولم ينظر إليه أحد بجدية بل كان أحيانا مناسبة للسخرية وإطلاق النكات. حتى أرغمنا على قبول ماهو أسوأ بكثير بعد سنوات قليلة، فى أماكن مثل جوانتانامو وأخواتها.

أما دعوتى لهم إلى بيعة (أمير المؤمنين) فكانت مفاجأة لم يتوقعها أحد، فظهرت الدهشة على الوجوه. وكان ردهم الذى أجمعوا عليه والذى أدهشنى بنفس الدرجة هو أن "أمير المؤمنين" حاكم خاص بالأفغان. وأن الأفغان لايقبلون أن يبايعه أحد غيرهم.
إختلفنا فى هذه النقطة فقلت لهم بأننى ذاهب إلى (الملا جليل) نائب أمير المؤمنين للتأكد من هذه النقطة بنفسى، ثم آتى لهم بالخبر اليقين.
نفى الملا جليل ما يقوله العرب وقال بأن أى شخص فى أفغانستان يمكنه مبايعة أمير المؤمنين. ولكن من هم خارج أفغانستان فإن بيعتهم مازالت موضع بحث فى الإمارة (علمت فيما بعد أن ذلك متعلق بالقبائل الباكستانية التى تطالب ببيعة الملاعمر بينما كانت الإمارة متحسبة من ردة فعل حكومة باكستان، التى على ما يبدو قد وجهت إنذارات فى هذا الصدد).
ذهبت بالنتيجة إلى "أبو عبد الله" ظانا أن اللبس قد زال. لكنه والذين معه طالبوا بمزيد من الوقت للتفكير.
إستغرق الأمر أسابيع، فشعرت بالغضب لهذا التردد غير المبرر، بينما وضعنا العربى الفوضوى قد يجلب كارثة على "الإمارة الإسلامية" فى أى لحظة.
للتملص من هذه الغضبات والضغوط ، لجأ أبو عبدالله إلى حيلة جديدة لكسب الوقت وقال أنه ومعه "الإخوة" قد طلبوا وفدا من علماء باكستان لمشاورتهم فى الأمر، وأن ذلك قد يستغرق بعض الوقت. شعرت بأنهم متهيبون جدا من موضوع البيعة وأنهم ربما يرغبون فى بث اليأس فى نفسى فأترك ذلك الموضوع وأسكت عنه..
عندما إدركت السب الحقيقى للمماطلة والتهيب من البيعة كان الوقت قد تأخر جدا.
كان السبب يتعلق برغبتهم فى إبقاء يدهم طليقة فى العمليات الخارجية بدون تدخل من الإمارة.
إستمر إلحاحى على "أبوعبدالله" أن يكون هو أول عربى يبايع الملا عمر. لأن ذلك سوف يحسن العلاقة بينه وبين الرجل. وقد كان توتر العلاقة يزداد يوما بعد يوم، وإن كان مكتوما. حيث يتذرع الملا عمر بالصبر، ويتذرع "أبو عبدالله" بعصيان الأوامر بطريقة إلتفافية تثير الغيظ لأنها توجه إهانة الإستخفاف بالطرف الآخر خاصة وأنه "الأمير الحقيقى مفترض الطاعة".
كانت ضربة أفريقيا ضد السفارتين الأمريكيتين قد وقعت بالفعل وأعقبها ضرب المعسكرات فى خوست بصواريخ كروز الأمريكية. بينما العلاقات بين الرجلين قريبة من الصفر.
وبشأن البيعة ظلت المشاورات الداخلية مستمرة بين أبوعبدالله وكبار مساعديه وكبار تنظيم الجهاد المصرى(وكانوا الأشد معارضة بشأن البيعة وتشكيكا فيها ـ وكان أبو حفص المصرى أقرب إلى موقفهم) ـ أما من تواجد من تنظيم الجماعة الإسلامية المصرية فكانوا أكثر عذوبة وينتظرون فتاواهم أن تأتى من أماكن بعيدة جدا لايدرى أحد متى تأتى أو هل تأتى بالفعل أم لا ؟ . فإذا حضروا جلسات من هذا النوع لبحث البيعة كانوا يتكلمون بكل خير وهدؤ.. وآخر شيئ يمكن توقعه منهم هو أن يكون لهم موقف واضح فى أى شيئ. جماعات الشمال الأفريقى كان أكثرها

تسامحا يرى أن الإمارة الأفغانية
"مشركة" والواجب هو الإنتظار حتى تتضح الرؤية. أما متشددو الشمال الإفريقى فموقفهم مفهوم وسهل وممتنع، يبدأ من تكفير الإمارة وينتهى بتكفير من حولها من عرب والساكنين فيها.
ظلت المشاورات الداخلية قائمة، والطلب من علماء باكستان أن يحضروا لمشاورة العرب مستمرا. كنت أتردد بشكل متواصل ما بين كابول، حيث كنت أعيش، وبين قندهار، حيث يعيش بن لادن وكبار مستشاريه.
كانت المسافة بين المدينتين حوالى 500 كيلومترا تستغرق 12 ساعة عندما يكون الطريق فى أحسن أحواله. وكانت تستغرق 30 ساعة قبل أن تبدأ الإمارة فى تمهيد أجزاء منه وترصف أقل القليل نظرا لضعف التمويل وقلة الإمكانات.
طال الأمر أكثر مما ينبغى. وفى أحد زياراتى المكوكية إلى قندهار وجدت مستشارى أبو عبد الله يعودون بى إلى نقطة الصفر مرة أخرى قائلين أن بيعة أمير المؤمنين غير متاحة لغير الأفغان. وكان ذلك رأى بن لادن أيضا. فقلت أننى سأذهب وأجرب بنفسى وأطلب مبايعة الرجل.
إندهشوا وتضاحكوا وظنوها مزحة. ولما رأونى قد نهضت مصمما على المضى قدما لتنفيذ ما عزمت عليه، قام معى أبوعبدالله على عادته الكريمة مع زائريه ، وفى الطريق إلى باب الخروج طلب منى العودة إليه لإبلاغه بالنتيجة.
قابلت "الملا جليل" فى مبنى "جامعة ومسجد عمر" ، القريب من ميدان شهيدان الشهير حيث موضع لمعركة تاريخية كبرى دارت بين أهالى قندهار والقوات البريطانية التى شاء سوء حظها أن تقاتل هؤلاء الناس.المسجد قيد البناء وأصبح شبه مكتب لمساعد الأمير أثناء النهار، يتابع منه الإعمار وشئون الإمارة.
كان يرافقنى الشاب الأوزبكى الرائع "محمد طاهر" قائد (حزب إسلامى أوزبكستان) المعارض المخيف لحكومة بلاده. وكان الملا عمر يحترمه ويحبه كثيرا. بعد الترحيب جلس معنا الملا جليل وسأل عن سبب الزيارة فتكلمت إليه مخبرا إياه أننى جئت أنوى مبايعة الملا عمر. إنتابت الرجل حالة عاطفية إنتقلت بسرعة إلينا وإلى عدد من الأفغان الجالسين حولنا.
أمسك جهاز المخابرة متصلا بالملاعمر فى مقر عمله بالإمارة. وتكلم معه بصوت خفيض وعين يلمع فيها الدمع. وتحدد الموعد بعد صلاه العصر.
فى الموعدد المحدد صاحبنى الملا جليل إلى مقر الإمارة. كان الملا محمد عمر بقامته النحيلة الفارعة يجلس وحيدا على حافة سور منخفض يحيط بمساحة خضراء فى الحديقة الواقعة وسط ساحة المبنى الحكومى القديم ، الذى ظل مقرا لحاكم إقليم قندهار لعقود خلت.
حراس الأمير ، وكانوا عددا من أقاربه الشباب يجلسون تحت الأشجار بإسترخاء يتسامرون ويتضاحكون ناسين مسئوليتهم كحراس فى حضرة أمير يقابل غريبا غير معروف. (أغلب هؤلاء الشباب لقوا حتفهم فى محاولة إغتيال الأمير بتفجير شاحنة فى أغسطس 1999) .

قام الأمير للترحيب بنا ومصافحتنا. ثم عاد للجلوس على السور المنخفض وإلى يمينه جلس الملا جليل بينما جلست إلى يساره. لعدة دقائق كان الأمير يسأل والملا جليل يجيب على أسئلة بعضها عن أحوال الضيوف العرب وبعضهاعن مبنى المسجد والجامعة. وفى الأخير نهض الأمير معلنا أن الجلسة قد إنتهت ثم صافحنى أولا ثم صافح الملا جليل الذى تقدم نحوى واضعا يده فى يدى كى نتوجه صوب البوابة.
نظرت إلى الملا جليل وسألتة بدهشة: ولكننى لم أبايع الأمير بعد !!!!.
فرد مصححا : لكن مصافحته لك هى البيعة.
قلت : ولكننى لم أنتبه إلى ذلك، لذا يلزم أن أصافحة مرة أخرى.
ضحك الملا جليل وعاد يكلم الأمير فى الموضوع. فنهض الرجل من مكانه القريب وتقدم يصافحنى مرة أخرى.
لم يكن أمر البيعة يزيد عندهم عن صفقة اليد تلك. ولكنها تعنى عندهم الكثير جدا .. وذلك على العكس منا نحن العرب .. حيث أن الكثير عندنا .. الكثير الكثير.. لايكاد يعنى أى شيئ.
ودعت الملا جليل عند "مسجد عمر" ، ثم توجهت منفردا نحو المجمع السكنى الجديد للعرب والذى أسميه عادة "عرب خيل".
فى عربة الركشا كنت أفكر فى اللقاء الوشيك لى مع بن لادن ومن معه. كنت أنظر إلى شوارع المدينه نصف المهدمة وكأننى أراها لأول مرة، لكن أجمل بكثير من واقعها الذى يشاهده الناس.
كنت أشعر بعمق أنه منذ الآن بدأت علاقة جديدة وهامة بين العرب والإمارة الإسلامية. وتحديدا مع أمير المؤمنين الملا محمد عمر. وأنه من الآن ستصبح المسيرة واحدة وبلا صداع التصدعات العربية التى لا تنتهى.
(كان ذلك يوم الإثنين 14 رجب 1419 هـ
الموافق 2 نوفمبر 1998 م)

.....

.....

المجمع السكنى العربى يقع أمام ترعة ضيقة تصبح مصرية الطابع إذا زارتها المياة أحيانا. وهى مناسبة تنتظرها عدة أوزات لا أدرى كيف يصلهن الخبر فيجئن بسرعة لتقمن مهرجانا خاصا. ولو أن هذا المنظر قد وقع أمامى منذ عقود قليلة فقط لكنت أحد مكوناته الجمالية التى تزعج باقى الكائنات داخل وخارج البحيرة.
سرنى أن بعض أطفال المنطقة يمارسون فى الترعة نفس الدور الذى أتمناه وأحلم به. وأعاد لى طفولتى منظر الطين الذى يكسو جلودهم البرنزية السمراء. رداء ناعم وحنون سرعان ما ينقشع بالمياة العكرة الجارية فى الترعة. ضحكت وأردت أن أصيح فيهم : واصلوا أيها الشجعان .. سنوات قليلة فقط وستصبحون مطلوبين دوليا بتهمة الإرهاب.
وجدت أن ذلك المرح لا يليق الآن بسنى ، كما أن حاجز اللغة ألجمنى.

" قرية عرب خيل" لها سور طينى ضخم. وعليه تستند بإرهاق منازل صغيرة كالحة يلف كل منها سور نحيف مرتفع يحيطها من ثلاث جهات، وله باب أمامى من الخشب الخفيف يطل على الساحة الترابية الواسعة للقرية الذى يمارس فيها الأطفال ماهو متاح من شيئ يشبه اللعب، مع العبث بسيارات "بيك أب" قليلة تقف هنا وهناك لبعض الوقت.
قابلنى الحراس الشباب كأننى رائد فضاء عاد من رحلة على سطح القمر فتجمع حوله سكان الأرض يباركون له عودته ويسألونه عن الأخبار "هناك" .
كانوا جميعا على علم بالمهمة التى ذهبت لأجلها ، وكانوا فى إنتظارى" لسماع الأخبار" . ركض نحوى عدد من الشباب مسرعين يتساءلون بلهفة وتجمعوا حولى مستفسرين . فلما أخبرتهم أننى قد " بايعت أمير المؤمنين " كبر بعضهم وضحك الجميع بفرح حقيقى وعانقونى بحرارة وكأننى قد نفذت عملية إنتحارية ناجحة .. ثم رجعت منها سالما !!.
فى غرفة الضيافة فى المجمع السكنى ، وبعد قليل من الإنتظار ، تجمع حولى كبار القوم ، أبو عبدالله وأبوحفص والدكتور عبد المعز " أيمن الظواهرى" يرافقه واحد من كبار مساعديه ، وكان تنظيم الجهاد مازال مستقلا عن القاعدة، كما حضر آخرون من كبار تنظيم القاعدة .
الدهشة كانت عارمه لما حدث . وبعد وقت قليل شعرت أن النظرة لى هنا قد تغيرت نسبيا ، وأن " قيمتى الأدبية" قد تراجعت إلى الخلف قليلا . فالشعور هنا مخالف للشعور فى ساحة المجمع عند الشباب الصغار . هنا كانت النظرة لى كأنى مخلوق آخر قادم من المريخ ، مدهش لكنه غامض ومخيف أيضا .
ظننت أننى قد أزحت أهم الحجج التى تمنع "أبو عبد الله " تحديدا من أن يبايع أمير المؤمنين . وكنت قد ذكرت لهم مرارا أن بيعته للملا عمر هى الأهم لأن نظرة الأفغان إليه على أنه أمير كل العرب . لذا فإن لبيعته قيمة كبيرة جدا بعكس بيعة أى شخص آخر ، بما فيهم شخصى المتواضع. لأن تأثير"بن لادن" أكبر وله قيمة أعظم عند العرب والأفغان معا خاصة وأنه يعتبر حاليا أهم رجل فى العالم .
بعد حوار معاد ومكرر وصلنا إلى نقطة الصفر مرة أخرى .
أبو عبد الله وجميع الحاضرين يرون أن " التريث هو الأولى " وأن " المشورة مازالت مستمرة " و" علماء باكستان قادمون " . إلى آخر تلك الحجج التى كنت أفندها وأهاجمها وأبدى دهشتى منها . لكنهم ظلوا صامدين باسمين فتوقفت عن الهجوم . ثم أخذت من أبوعبدالله موعدا جديدا تكون فيه المشاورات قد إنتهت. وذلك قبل أن أعود مرة أخرى إلى كابول مستأنفا رحلاتى المكوكية التى لاتكاد تهدأ ولم تظهر لها حتى الآن نهاية.
على أى حال كانت جلستنا الأخيرة تلك قد أثبتت أن بيعة أمير المؤمنين ليست خرافة بل هى أمر ممكن.
ودعنى "بن لادن" وباقى المجموعة. و قبلت شاكرا عرض الدكتور عبد المعز أن يصطحبنى فى سيارته إلى مكتب الأوزبك الذى كنت أستخدمه مقرا لى أثناء

زياراتى لقندهار. كان على المبيت هناك حتى الفجر حين تبدأ حركة سيارات الأجرة صوب العاصمة وباقى المدن.
كان برفقة الدكتور ثلاثة من أقرب مساعديه وكانوا أيضا من أصدقائى.
ولكن ما أن أخذت موضعى داخل السيارة التى تحركت بنا صوب المدينة حتى بدأت جولة من الملاسنة الساخرة حول ما قمت به من مبايعة لأمير المؤمنين . سألنى أحدهم بسخرية عن شعورى عندما بايعت الأمير !! .
تفاديت الغضب وأجبت بسخرية مقابلة : شعرت أننى فى مسلسل إسلامى، (ضحكوا لذلك.. ولكننى أكملت كلامى) لم يخطر فى بالى يوما أن أقابل أميرا للمؤمنين ، بل وأن أبايعه أيضا!!! .

أستمرت وتيرة سخريتهم إلى أن وصلنا المكان المطلوب عند بوابة المعسكر الرئيسى فى وسط المدينة حيث يسكن الأوزبك .
ودعت أصدقائى وعبرت بوابة المعسكر ثم بوابة مكتب الأوزبك حيث بقيت فى ساحته الخارجية تحت شجرة توت ضخمة، ولكنها بكل أسف لاتثمر. ولعل فى ذلك معنى رمزيا لم ألتفت إليه وقتها . بقيت ساهرا معظم الليل حيث قفلت راجعا إلى كابول عند الفجر .
سيارة الأجرة المزدحمة بالمسافرين الأفغان كنت العربى الوحيد فيها، غارقا فى أفكارى طول الطريق باحثا عن إجابة لأسئلة تحيرنى : ماذا يريد العرب ؟ .. ماذا يمنعهم حقيقة عن بيعة أمير المؤمنين ؟ .. هل هو الخلاف المذهبى ؟.. هل هو الإستعلاء العرقى ؟.. هل هى رغبة فى التفلت من أى قيد تفرضة البيعة ، ورغبة فى إستمرار حالة الأنطلاق الفوضوى ولو أدى إلى كارثة ؟.
وفى الأخير وصلت كابول وقد غمرها الظلام واقترب موعد حظر التجول الذى يبقى المدينة فى سكون من العاشرة ليلا وحتى آذان الفجر .
سكون لايقطعه/ على سبيل التذكرة/ إلا أصوات إنفجارات تأتى من على بعد عدة كيلومترات إلى الشمال، حيث مازالت هناك حرب وخطوط قتال.
....
....

تواصلت زياراتى لقندهار . وشعورى بخطورة الموقف وخطورة الموضوع جعلنى أواصل الأصرار والمتابعة . وكأن أبو عبدالله شعر بالملل والإحراج ، فقام معى ليوصلنى إلى باب المجمع أثناء مغادرتى وكنا منفردين. فقال بصوت منخفض أنه يوافق على بيعة أمير المؤمنين وطلب منى أن أحدد له موعدا لذلك .
كدت أطير من الفرح لهذا النجاح المفاجئ . وتوجهت على الفور لمقابلة نائب الملا عمر فى "مسجد وجامعة عمر" التى كانت قيد الإنشاء . وكما فعل معى فى المرة السابقة تكلم بالمخابرة مع "أمير المؤمنين" وحدد موعدا لمبايعة أبوعبدلله فى عصر نفس اليوم كما فعل أيضا فى المرة الماضية .

على الفور توجهت إلى مقر "ابوعبدالله" لأزف له الخبر السعيد . وقلت له أننى لن أصاحبه فى ذلك اللقاء لأننى قدرت أن لقاءه المنفرد مع "أمير المؤمنين " سيكون أفضل وقعا ، وتأثيرا فى رفع حالة الجمود والتوتر المكتوم بين الرجلين .
وافق على ذلك رغم أنه كان يفضل أن أحضر اللقاء . قلت أننى سأحضر فى صباح الغد لمعرفة ما دار فى ذلك اللقاء التاريخى.
مضى الليل بطيئا جدا بينما أحاول الرقاد تحت شجرة التوت العملاقة فى ساحة مكتب الأوزبك. قضيت شطرا من الليل أتجاذب أطراف الحديث مع محمد طاهر "الأمير الأوزبكى" وكان يتابع معى ما يحدث على الساحة العربية الأفغانية ويبدى تعاطفا كبيرا مع وجهة نظرى . وكنت ممتنا له كثيرا، فقد كنت وحيدا بالكامل وبلا أنصار فى معالجة مشكلة خطيرة كما أراها. بينما يراها عرب آخرون مجرد "كلام فاضى".
مع أضواء الصباح الأولى كنت بالفعل داخل غرفة الضيافة فى مجمع "عرب خيل" منتظرا كبار القوم، وأبو عبدالله تحديدا كى أطمئن / وأكاد أقول أحتفل/ بهذا التطور الضخم فى تاريخ العرب والإمارة الإسلامية.
وأخيرا وصل أبوعبدالله عند إرتفاع شمس الضحى. لم يكن مستبشرا كما هى عادته فتوجست شرا. وتبعه أبو حفص وهو فى حال مشابه فانقبض صدرى.
وعلى الفور توجهت بالسؤال إلى أبو عبدالله عن أخبار الأمس وكيف سارت الأمور مع الملا عمر. فقال أنه لم يذهب إليه !!.
شعرت أن صخرة قد هوت فوق رأسى من فوق جبل مرتفع . وسألته فى ذهول : كيف ؟؟ ولماذا ؟؟ . فرد قائلا بإقتضاب أنه يشعر بالحاجة الى المزيد من التفكير . قلت له أن ذلك سيترك أثرا غاية السوء فى نفس الملا عمر . وسيتأكد لديه شعور موجود بالفعل وهو أنك تتكبر عليه وترى نفسك أكبر وأهم . وذلك سيكون سيئا للغاية فى موقف الأمارة منك بل ومن كل العرب لأنهم يظنون العرب كتلة واحدة كما هى قبائل أفغانستان .
وأظن أننا الآن فى ورطة جدية ولابد من تحسين الموقف مع الرجل بعد أن ساءت الأمور أكثر من أى وقت مضى .
وكأن أبوعبد الله شعر بجدية الموقف فطلب منى أن آتيه عصرا .
فى تلك الجلسة المسائية أخبرنى أبوعبد الله أنه قرر بالفعل أن يبايع أمير المؤمنين ، وطلب منى أن أقوم بتلك البيعة نيابة عنه .
دار بيننا نقاش طويل . فقد كنت أرى ضرورة ذهابه شخصيا حتى تزول تلك الترسبات الضارة فى العلاقة والتى تراكم بعضها فوق بعض . خاصة بعد تخلفه الأخير عن الموعد والذى يعتبر إهانة قوية .
وقد كنت بالفعل أخشى أن يرفض الملا عمر بيعة أبوعبدالله وأن أتلقى بنفسى صدمة الأهانة .
فى الأخير وافقت على طلبه ، مع ظنى أنها مغامرة غير مأمونة العواقب وأننى أغامر بالدخول فى عداوة لا دخل لى بها ، بل كنت أحاول تفكيك بواعثها بين أهم رجلين فى أفغانستان . وبالأحرى بين أهم رجل فى أفغانستان وهو الملا محمد عمر "

أمير المؤمنين " وبين أهم رجل فى العالم "أبوعبد الله " أسامة بن لادن . وقد كنت بالفعل أشعر بحب عميق لكليهما .
كنت فى غاية الخجل والحرج وأنا أحدد موعدا جديدا لأداء بيعة بالنيابة .
كان الملا عمر كريما وذكيا ، فلم يسألنى عن أى شيئ وكنت أتوقع ان يطلب منى إيضاحا عن عدم حضور أبوعبدالله فى الموعد المقرر بالأمس . ولماذا لم يحضر بنفسه اليوم ؟ وماذا يمنعه عن ذلك ؟ .
لم يكن عندى أى إجابة تهدئ الخواطر ، كما كان ثقيلا جدا على نفسى أن أذكر الحقيقة الجارحة، ولم يكن واردا بأى حال أن أقول غيرها.
"الملا عمر" رجل لماح وغاية فى الذكاء وكان يقرأ ما يدور فى ذهنى بشكل دقيق ، فلم يشأ أن يحرجنى .
أديت له البيعة بالنيابة عن " أبو عبدالله " وخرجت من عنده مسرعاً وكأننى أزحت صخرة ثقيلة من على صدرى، أو كأننى خشيت أن يتراجع الملا عمر عن موقفه ويرفض البيعة.

****

فى عام 2000 تحسنت العلاقات نسبيا بين الرجلين . وقام أبوعبدالله بزيارة الملا عمر فى مقره الجديد الذى إتخذه قريبا من أحد الجبال ـ بناء على مشورة من العرب ، بعد محاولة إغتياله فى العام 1999 .
ولكن على وجه العموم إستمر أبوعبد الله فى نفس مسيرته القديمة . وخالف التعليمات الأساسية لأمير المؤمنين والتى تتلخص فى بندين رئيسين مع بعض الفرعيات الآخرى .
الأساسيات كانت التوقف عن اللقاءات الصحفية والتلفزيونية . مع حظر أى ضربة عسكرية ضد الولايات المتحدة لأن باكستان هددت بالتدخل المباشر ضد الإمارة إذا حدث مثل ذلك الأمر . وهو ما لا يمكن إحتماله فى ظروف الإمارة الحالية وإلى أن تتم السيطرة على المناطق الباقية تحت حكم التحالف الشمالى المعارض.
أما الضربات ضد إسرائيل فإن الإمارة تؤيدها ومستعدة لتحمل تبعاتها إلى جانب العرب (وكان ذلك الموقف فى أثناء إنتفاضة المسجد الأقصى فى آوخر عام 2000) .
ولكن يبدو أن أبو عبدالله كان قد مضى بعيدا فى الإعداد لضربة سبتمر 2001 . والتى لم يكن أحد يدرى بها تفصيلا سوى ثلاث أفراد منهم أبوعبد الله نفسه . ثم عدد محدود لا يزيد عن إثنين أو ثلاثة يعلمون على وجه اليقين أن هناك ضربة عسكرية كبيرة ضد هدف أمريكى غير معلوم لديهم بالتحديد .
وخارج الدائرة الضيقة الأولى ثم الدائرة الضيقة الثانية ، لم يكن أى أحد آخر يدرى بما يدور . وطبعا على رأس هؤلاء الذين " لايعلمون " كان الملا عمر الذى وقعت فوق رأسه كل التبعات المدمرة لما حدث ، إذ سقطت أمارته مع سقوط المبانى التجارية فى نيويورك .

وبالطبع كنت فى صدارة " الذين لا يعلمون ". ولوأننى علمت لما دفعت بكل تلك القوة لاتمام بيعة "أبوعبدالله " للملا عمر . لأنها كانت فى الواقع عملية تضليل لأمير المؤمنين لصرف نظرة عن عمل خطير يحاك من وراء ظهره ويتعدى على صميم إختصاصاته كحاكم للبلاد . ويتعدى على مصير وحياة شعبه الذى كان على وشك التعرض لمجزرة أمريكية ، وإحتلال أمريكى أوروبى أقسى وأشد من الإحتلال السوفيتى الذى لم يكد يرحل عن البلاد .

****

ورد فى ذهنى سؤال بعد فوات الآوان :
لماذا أصر أبوعبد الله على أن تكون بيعته للملا عمر بالنيابة وليس مباشرة ؟ .
فخطر لى أنه وفر لنفسه هامشا أكبر للمناورة عند سؤاله عن تلك البيعة:
عما إذا كانت قد تمت بالفعل أم أنها لم تتم ؟.
فإذا إستدعى الأمر نفيها قال أنه لم يبايع . وكان صادقا فى ذلك لأنه لم يبايع شخصيا .
واذا إستدعى الأمر إثبات البيعة قال أنه بايع وكان صادقا أيضا لأن البيعة قد وقعت بالفعل ولكن بالنيابة .
... كان الله فى عون "الملا عمر " ... وعون جميع المسلمين .

....
....
....

الفصل الثالث:

نحن ... وأفغانستان ... وإيران

هناك مثل أوروبى يقول : أن الثورات يخطط لها العباقرة ، ويخوض غمارها الشجعان ، ويقطف ثمارها اللصوص .
وطوال فترة حياته حمى الإمام الخمينى "قائد الثورة " ثورته من أن تصبح نهبا للصوص وظلت ثورة للفقراء والمستضعفين إلى حين وفاته .
وبعده مباشرة بدأ بندول الساعة يعكس مسارة ، وعاد اللصوص إلى مكانهم الطبيعى يمارسون حقهم فى جنى قطاف الثورة . خاصة وأن بعضهم كان من رعيلها الأول ويرى نفسه وذريته وأحبابه هم أصحاب الحق الطبيعى فى خلافة أسرة بهلوى .
عودة البندول كانت بطيئة وحكيمة وتديرها أيد واعية ، كون الثورة عميقة الجذور فى المجتمع الإيرانى ومرتبطة بقوة بالمعتقدات الدينية الراسخة إرتباطها بالمواقف الإجتماعية والسياسية التى حددها الإمام الخمينى وكانت تعبيرا صحيحا وعميقا قادما من أعماق الفقراء أغلبية الشعب .
لذا كانت رحلة عودة البندول غاية الحرص حتى لا تؤدى نقلة خاطئة إلى تفجير يطيح بالمعمل كله .
هكذا مرت ثمانى سنوات تحت قيادة عالم الكيمياء السياسية الماهر " الشيخ هاشمى رفسنجانى" الذى أجاد دورة كصانع ملوك وملكا للتوازنات وصانع سياسات النظام.
عندما أنهى دورتيه كرئيس جمهورية ، دفع إلى الصدارة واحدا من أنجب تلامذته وهو السيد محمد خاتمى الذى قاد الجمهورية لثمانى سنوات أكمل فيها نفس المسيرة وبهمة أعظم كون الثمان سنوات السابقة لهاشمى رفسنجانى قد مهدت الطريق وأزالت معظم العقبات ، ودجنت الهمم الثائرة وأفسحت المجال للراغبين فى الثروة والسلطة والمستعدين لنسيان أسطورة الثورة، فيكفى ما حدث من حروب وعزلة وعقوبات فالدنيا مازالت بخير والبلد مليئة بالثروات .
أكبر إنجازات عالم الكيمياء السياسية كان وضع مرشد الثورة وهو أعلى سلطة دستورية فى البلاد ، وضعه فى قارورة شبه محكمة الإغلاق جعلت الوارد إليه بميزان والصادر منه بميزان .
وباقى المجالس الدستورية التى تراقب السلطات التشريعية والتنفيذية كانت تحت السيطرة وتسير وفقا للتفاعل المحكوم بدقة وحكمة .
الإلتحاق الكامل بالغرب/ لكن بكرامة/ كان هو هدف المسيرة المعاكسة لبندول الثورة طول مدة ثمانى سنوات رفسنجانية وثمانية أخرى خاتمية . وكان للغرب فيها ثلاث مطالب واجب تنفيذها فى الداخل الإيرانى .. وهى :
1 - تخفيف صور الإلتزام الإسلامى فى الشارع الإيرانى .

2 ـ إطلاق العنان للشباب المتأثر بالثقافة الغربية للتعبير عن نفسه بحرية فى الحياه العامة (أى وقف عملية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى المجتمع).
3 ـ إطلاق العنان للصحف الليبرالية ورفع الحواجز أمام صدورها وحريتها فى التعبير وحماية كتابها وإفساح المجال لهم. .

تم ذلك كله وأكثر خلال ستة عشر عاما من مسيرة بندول الثورة المعكوس وفقا لمعادلات غاية فى الدقة تمسك بها يد خبيرة وحكيمة للشيخ رفسنجانى .

تضخمت ثروات بشكل فلكى ، وتزاوجت السلطة السياسية بالثروة والتاريخ الثورى. وتكدست أرصدة الكثير من الثوريين القدماء ونمت كروشهم ، وصار الفساد الثورى هو شعار العصر .

هذا فى الداخل فماذا فى الخارج ؟ .

وهنا تعنينا أفغانستان تحديدا ـ فقد كان كل ما يحدث فى إيران له إنعكاسه السريع والمباشر فى أفغانستان . وكان ذلك واضحا لكل من أراد أن يرى . أما من أغمض عينيه أو أشاح بوجه وأراح مخه من رذيلة التفكير ، فقد فاته الكثير .

وكلما أستيقظ أو أنتبه إذا راعته الأحداث وعجز عن تفسيرها، فكان له فى كلمة (كفار) ما يثلج الصدر ويذهب وساوس التفكير، ويجلب النوم المريح.

فمثلا : وقت أن كانت الثورة الإسلامية فى إيران تخوض حربا دفاعية فى مواجهة حرب عالمية ضمت الغرب كله والاتحاد السوفيتى "وأهل السنة !! " من حكام دول الخليج النفطية .

وقتها كانت إيران تقدم قدر طاقتها القليلة جدا المتاحة فى ذلك الوقت مساندة للمجاهدين فى غرب أفغانستان . وكان لنا وقتها أصدقاء من تلك المناطق يعيشون فى منطقة الخليج ويعملون فى إيصال المساعدات إلى بلادهم وقد نقلوا لنا تلك الصورة عن الموقف الإيرانى فى مابين أعوام 1980 الى عام 1989 .

وقد شاهدنا بأنفسنا تواجدا للحرس الثورى الإيرانى فى مناطق باكتيا، يدربون جماعة مولوى نصر الله منصور ويقدمون لهم أسلحة خفيفة ومدافع هاون .

وكان ذلك فى عام 1988 ومعلوم أن باكتيا يسكنها قبائل من البشتون السنة شديدى التدين كباقى البشتون .

ولكن ما أن دخل " المجاهدون " إلى كابول بحكومتهم الهزيلة عام 1992 وبدأت الحروب بين التنظيمات حتى ظهرت على الساحة بصمات السياسة الإيرانية الجديدة نتيجة إنعكاس حركة " البندول الثورى " .

وبدلا عن الروح الثورية فى دعم المسلمين المستضعفين فى كل العالم ، كشرت الدولة المتعطشة للتوسع الأقليمى على حساب شعب مسلم جار وشقيق شاءت ظروفة أن تتمزق دولته وتتمزق قواه الإجتماعية والسياسية .

إندفع جيران أفغانستان من كل حدب وصوب لملء الفراغ واكتساب مناطق النفوذ. ولم تكن إيران"الثورة المنعكسة" إلا واحدة من ذئاب الجوار التى إندفعت لنهش لحم الثور الأفغانى النازف الذى تفترسه دول الجوار تحت رعاية دولية تخطط لإستيعاب المنطقة كلها .. بما فيها إيران.

كان" حزب وحدت " الشيعى أهم أوراق إيران على الساحة الأفغانية فى مرحلة الفتن والإضطرابات التى بدأت منذ " إبريل 1992 " وحتى دخول طالبان إلى كابول فى أكتوبر 1996 .

تورط "حزب وحدت" وبدعم إيرانى واضح فى مجموعة تحالفات متناقضة وحروب متصلة بحيث حالف الجميع وحارب الجميع خلال شهور معدودة .

ولأن الشيعة أقلية عرقية ودينية فقيرة ومهمشة ومضطهدة تاريخيا إنعكست عليها تلك السياسات بأشد الأضرار وزادتها تفسخا وضعفا ونزيفا داميا . ولم تجتمع الشيعة على قيادة واحدة ولا توفرت لها قيادة مناسبة ، إلا فى قيادة الشيخ عبد العلى مزارى الذى قتل فى مشكلة مع الطالبان ضمن حادث يعكس عشوائية تلك المرحلة ومأسوية أحداثها المضطربة والعنيفة .

لم يكن قتله مدبرا أو متعمدا بأى شكل من الأشكال لكن قيادة الحركة "البندولية" فى إيران جعلته بداية لصراع وعداوة أبدية مع حركة طالبان ، وهو موقف يعكس رغبة ومصالح الصفوة الحاكمة فى طهران والتى جمعت بين يديها الماهرتين كل مفاتيح السلطة ومعظم مفاتيح الثروة .

رغبت تلك الصفوة فى عقد تحالف إستراتيجى " غير معلن " مع الولايات المتحدة تقوم بموجبه طهران بدور أقليمى " شاهنشاهى " تحت شعارات ثورية رنانة من قبيل " الحرب على الإرهاب ـ الحرب على التطرف ـ الحرب على التكفير ـ الحرب على .... القرصنة البحرية " .

وهذا هو الدور الأقليمى الذى ظلت تطالب به طهران منذ وفاة الإمام الخمينى فى عام 1989 وحتى ما قبل الإنتخابات الرئاسية الأخيرة فى يونيو 2009، التى تلقت فيها تلك الصفوة ضربة هائلة غير متوقعة بينما هى على وشك أن تخطوا خطوتها الأخيرة لغلق ملف ثورية إيران وحتى إسلامية نظامها .

وهذا يفسر ، لمن لا يعلم ، سبب ذلك الإنزعاج الرهيب الذى إجتاح المعسكر الغربى /الإسرائيلى /العربى "المعتدل" ، حيث كانت كل الخطوات معدة ومدروسة وحشدت لها كل وسائل النجاح ورصدت الأموال الهائلة لتحريك ثورة " مخملية " لا نظير لها فيما سبق من ثورات ناجحة فى جورجيا أو أوكرانيا . وتوفرت لها كل الخبرات الإدارية للثورات المخملية الحديثة بعناصر من المخابرات الأمريكية والإسرائيلية والأوروبية ، و"هاموش" الحكم فى دول الخليج.

ونعود إلى أفغانستان ونقول : أن إيران فى ثوبها الجديد إستفادت من "الورقة الشيعية" فى تمددها الأقليمى صوب أفغانستان كما أستفادت من الرباط اللغوى الذى يربطها مع الطاجيك " الفرسوان " الأفغان . وأحمد شاه مسعود الزعيم القوى للطاجيك ، جمع تحالفا " شماليا" تبنته إيران. وهو يضم أيضا الشيعة والأقلية الأوزبكية وزعيمهم الدموى عبد الرشيد رستم " صاحب أكبرميليشيات شيوعية حاربت ضد المسلمين فى أفغانستان ، وضم أيضا بشتون من قادة

الجهاد السابقين من أمثال عبد الرسول سياف (رجل السعودية الأول) وحكمتيار(رجل باكستان الأول).
ومازالت السياسة الإيرانية حتى الآن تعتبر أن ذلك التحالف هو يدها القوية فى أفغانستان . وترى روسيا نفس الشئ رغم أن التحالف المذكور كان هو قوة القتال الأرضى الوحيدة التى فتحت الباب الأفغانى للإحتلال الأمريكى فى حرب أكتوبر2001 .
ومن قواعد اللعبة تخويف ذلك التحالف لإبقائه مربوطا وتحت السيطرة . وهكذا أثاروا رعب أفراده من مخاطر طالبان الذين وصموهم أنهم "سنة" متهورون أو بشتون متطرفون . إذا لابد أن تبقى حركة طالبان شيطانا رجيما مخيفا ، حتى يبقى تحالف الشمال مترابطا كتحالف مشترك سنى شيعى ويضم أقليات غير بشتونية مهددة بالخطر . أما البشتون السنة فى ذلك التحالف فلهم دور كبير فى إكسابه طابعا مرنا يخفف الصورة الممجوجة للطائفية العرقية.
إذا هى صورة طبق الأصل من نموذج الفتنة العراقية التى جاءت بعد ذلك بسنوات . وظلت قوانين اللعبة ثابتة رقم إختلاف التفاصيل والنائج .
الفارق فى الحالة الأفغانية هو القيادة الفذة المتمثلة فى الملا محمد عمر قائد حركة طالبان الذى لم يرفع إلا شعارا إسلاميا خالصا نقيا من دعاوى "الجاهلية" الطائفية و"الجاهلية" العرقية .
ومازال ذلك الرجل العظيم ثابتا على موقفه رغما عن كل المغريات وكل الضغوط التى يأتى أكثرها من جانب باكستان وجهة العرب .. عرب الحكومات وعرب الجهاد .. وربما هنا تختلط العديد من الأوراق حين تتحد مصالح الحكوميين مع مصالح الجهاديين فى تزكية نيران الفتنة والإبقاء عليها مشتعلة .
ويبدو حتى الآن أن الملا محمد عمر قد تعلم الدرس جيدا ، فلم يعد يسمح لضيوفه أو أنصاره من العرب ـ أو من غير العرب أن يأخذوا بيدهم زمام القرار فى السلم والحرب. فحرب أكتوبر 2001 لن تتكرر. وسياسة التوريط التى نجح فيها البعض مرة، غير قابلة للنجاح فى الوضع الراهن طالما ظل الملا عمر قابضا بقوة على زمام القيادة.
من سياق الأحداث الأخيرة فى مناطق القبائل الباكستانية يتضح أن العرب المجاهدين ومعهم علماء دين باكستانيين مرتبطين بالإستخبارات العسكرية ومعهم بعض عناصر تلك الإستخبارات الذين إكتسبوا ثقة بعض العرب والأفغان أثناء الفترة السوفيتية، كل هؤلاء تمكنوا من فرض برنامج عمل على حركة طالبان باكستان أدى فى حصيلته إلى عزلة الحركة عن الكتلة الشعبية الكبرى فى البلاد. وبحيث تعانى الحركة من عزلة واضحة عن باقى فئات الشعب ولا يقاتل معها ويساندها سوى قبائلها فقط مع دعم سياسى باهت من قوى متناثرة لاوزن لها.
ذلك لأن شعارات الحركة لم تكن مدروسة بعناية، وبثت الرعب فى أكثر الفئات التى لجأت إلى الحكومة وجيشها من أجل الحماية. ولو أن الأمر كان كذلك فى أفغانستان لأنتهت المقاومة الأفغانية فى أشهر قليلة. وذلك يدل على إستقلالية

الملا عمر وسيطرته التامة على قراره السياسى والعسكرى، وأن التدخلات التى تسببت فى نشوب حرب أكتوبر 2001 وسقوط الإمارة لا أثر لها الآن بل تبدو عديمة الفرصة.
مستشارو "طالبان باكستان" فرضوا عليها برنامج "الفتنة الطائفية"(واستهداف الشيعة ، مساجدهم، علمائهم، أناسهم العاديين).
وكان ملفتا أن مؤتمرات شعبية مؤيدة للجيش الباكستانى فى حربه الوحشية على القبائل، كان منظموها قيادات مشتركة من الصوفية والشيعة (!!) أى الأعداء التقليديين للسلفية. وكان ذلك مؤشرا لا يخطئ على مدى تأثير السلفية الجهادية على قيادة حركة طالبان باكستان. أو كما قال صديقنا الشيخ سعيد
(الموصوف بالرجل الثالث فى القاعدة فى حديثه مع المراسل النشط لقناة الجزيرة الزميل أحمد زيدان) أنه قد حدث نجاح فى إقناع حركة طالبان باكستان "بالمنهج" و "التوحيد" و" عقيدة الولاء والبراء" . وهى شيفرات التعارف الخاص بالسلفيين. كما أن هناك شيفرات للتعارف لدى آخرين مثل"الصحوة الإسلامية" و " أبناء الحركة الإسلامية" و"منهج الإعتدال والوسطية" . جميعها كليشيهات فخيمة وضخيمة، ولكنها مجرد شيفرات تعارف أو ماركات تجارية فى بازار العمل الإسلامى المحترف .. أما عمليا.. فبدون أثار فى التطبيق.
ولو أن جزءا صغيرا فقط منها كان قيد التطبيق الجدى لتغيرت أشياء كثيرة جدا.
لكن وبكل بساطة لا أحد لديه مجرد النية لفعل ذلك.
((فلننظر مثلا إلى تجربة الزعيم الصومالى السلفى "شيخ شريف" الذى لم يكد يجلس على كرسى الحكم لدقائق إلا وطالب إخوانه بوضع السلاح فورا. ولما رفضوا إستعان عليهم بالأحباش وباقى جيوش أفريقيا الوثنية. ثم أمدتة الولايات المتحدة على الفور بأسلحة قيمتها 40 مليون دولار ليتمكن من قتل إخوانه بشكل جيد وسريع .
ولنفحص الشيفرات الإسلامية البراقة لدى من يعملون فى خدمة الحذاء الأمريكى فى حكومات كرزايات أفغانستان والعراق.. ولنتفق الآن /وقد نرجع لذلك مرة أخرى/ إلى أن تعريفات الكتب العلمية القديمة لمصطلحات كبيرة كهذه، صحيحة فى حد ذاتها لكنها لم تعد كافية. وما يحتاجه العصر هو وضع تعريف تطبيقى عملى ومعاصر لتك المصطلحات الضخمة والخطيرة))

لم يكن ممكنا أن يتخيل أحد أن يقف الشعب الباكستانى ـ وفى الحقيقة أى شعب فى الدنيا ـ وهو يشاهد جيشه الوطنى يقوم بشكل منهجى وحديث بعملية إستئصال دينى وعرقى لفئة من فئات الشعب، وبطلب وإلحاح إمريكى مباشر ووقح، وبتمويل دولى يتحدى الأزمة المالية الدولية وموجات الجوع والبطالة التى تضرب الجنس البشرى كله. ولكن يبدو أن قتل المسلمين يظل دوما فى صدارة إهتمام البنوك اليهودية التى تسجد لعظمتها حكومات العالم الكبير منها قبل الصغير..

وكالعادة قد تتمكن حركة طالبان باكستان من القيام بأعمال بطولية لاشك فيها، ولكنها قد تخسر المعركة فى نهاية المطاف، لأنها خسرت تأييد الشعب.
وهذا ما حدث فى حرب أكتوبر 2001 أمام الغزو الأمريكى لأفغانستان، لأن الشعب الأفغانى إنصرف عن حركة طالبان وضيوفها "الوهابيين" الذين ورطوا البلاد فى حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل.
لقد إحتاج الملا عمر وحركة طالبان إلى حوالى ثلاث سنوات لإعادة ربط الشعب بهم مرة أخرى، وإقناعهم بعدالة المعركة وضرورتها الدينية والدنيوية.
الخطر الحقيقى الآن:
هل تنجح سياسة التوريط العربية ـ من القاعدة وغيرها ـ فى فك إرتباط الأفغان بحركة طالبان الأفغانية ـ كما نجحوا بدرجة ملموسة فى باكستان؟؟.

....
....
....

(بيرل هاربور) ذلك السحر الأمريكى الطائر
من هاواى.. إلى مزار شريف .. إلى نيويورك

كان الرئيس الأمريكى روزفلت فى حاجة إلى حادث كبير يتيح له دخول الحرب العالمية الثانية .
وكان الشعب الأمريكى ونوابه يرفضون دخولها . فتم ترتيب حادثة" بيرل هاربور" حيث إستدرجت اليابان لضرب الأسطول الأمريكى الرابض مثل "البطة العرجاء" فى ميناء الجزيرة .
وكانت الولايات المتحدة قد ضغطت على اليابان وخنقتها إقتصاديا إلى ما يقرب من الموت بحيث لم يعد أمامها بد من خوض الحرب ضد الولايات المتحدة . وحدث ذلك بينما الأسطول الأمريكى " أومعظمه " رابضا فى ميناء بيرل هاربور فى وضعية غواية يستحيل مقاومتها . فكانت الخطيئة التى رتب لها الأمريكيون بعناية فائقة ثم كان لابد لهم من عقاب المعتدى والإنتقام للشرف الأمريكى المثلوم.
فجاء القرار بدخول الحرب بإجماع النواب الأمريكين " ماعدا واحد " .
ومنذ الستينات فى القرن الماضى بدأت العناصر الأمريكية المتأثرة بالنازية الألمانية تتكلم عن الحاجة إلى " بيرل هاربر جديدة " توفر مناخا داخل الولايات المتحدة لظهور حكم شمولى لرئيس جمهورية مطلق الصلاحيات تقريبا .
ومنذ آواخر التسعينات فى القرن الماضى كان الحديث يدور عن الحاجة الملحة إلى " بيرل هاربر جديدة " وكان حديثا مسموعا وملحا . وقبل أكثر من عام من حادثة 11 سبتمبر كان قرار غزو أفغانستان قد أصبح جاهزا . وتكررت " بيرل هاربور" ولكن فى جزيرة منهاتن فى 11 سبتمبر 2001 .

ولكن لم يلتفت أحد إلى حدوث " بيرل هاربور" أخرى فى صيف 1998 فى مدينة مزار شريف الأفغانية رغم التشابه المذهل بين الحادثين .
حادثة 11 سبتمبر كانت حيوية بالنسبة للمحافظين الجدد فى واشنطن من أجل إحداث تغير عميق فى الحياة السياسية الأمريكية يتمثل فى مصادرة الحقوق الدستورية للموطنين . (أى إحداث إنقلاب دستورى جوهرى فى طبيعة النظام الأمريكى من الداخل) .
وبالنسبة إلى السياسة الأمريكية الخارجية كانت حادثة 11 سبتمبر علامة إنطلاق لحملة عدوانية على نطاق العالم تتلخص فى إستخدام القوى العسكرية المتفوقة فى مصادرة موارد الطاقة والمواد الخام ، وقمع أى قوة تعترض على العدوان الأمريكى فى العالم وسحقها بحجة "محاربة الإرهاب" .

كيمياء السياسة الإيرانية فى عام 1998 وجدت الفرصة لتنفيذ " بيرل هاربور" خاص بها يوفر فرصة لإنطلاق سياسات جديدة داخليا وخارجيا .
المكان هو مزار شريف وتحديدا القنصلية الإيرانية هناك .
بدأت القصة فى عام 1997 حين تمكنت حركة طالبان من إقتحام مدينة " مزار شريف" الحصن العتيد لقائد الميلشيات الشيوعية السابق " عبد الرشيد دوستم " وذلك بعد شبهه تحالف مع الجنرال " مؤمن " الصديق القديم والمنافس الحالى وقتها للقائد دوستم . وكان الملا محمد عمر معترضا على ذلك التحالف لكن كبار قادته ضغطوا عليه ، وفى مقدمتهم وزير خارجيته وعدد من " العقلاء" الذين وجدوها فرصة سانحة لدخول المدينة بسهولة تحقن الدماء، بما يبرر التعاون مع "مؤمن" الشيوعى.
حدث ما توقعوه وكانت الفرحة عارمة، ودخلت قوات طالبان إلى المدنة بلا أى حرص. وزودتهم الإمارة بالمزيد من القوات لتأمين المدينة. ولكن فرحة النصر السهل سلبت عقولهم، ولم يفيقوا إلا بكمين أطبق عليهم من كل جانب بينما كانوا فى إسترخاء تام فى أرجاء المدينة. فكانت مجزرة قتل منهم فيها عشرة آلاف شخص(حسب مصادر طالبان).
ولم يكن ذلك كافيا لإرواء الغليل الدموى للجنرال دوستم وحلفائه الشماليين، إذ تخطوا كل الخطوط الحمراء فى المجتمع الأفغانى واعتدوا على النساء واغتصبوا الكثيرات علنا فى الميادين العامة ومواقف الباصات الكبرى.
لذا كانت دوافع الإنتقام لدى طالبان خارج كل تصور.
وقت دخول الطالبان السهل إلى مزار شريف فى 1997 يبدو أن القنصلية الإيرانية هناك كانت خالية. وقد كانت هى مركز إدارة الدعم اللوجستي الذى تقدمه إيران لتحالف الشمال. وهو دعم إنسانى وإقتصادى وعسكرى. وكان ذلك هو الدعم الأساسى الذى يصل تحالف الشمال ، متفوقا على الدعم الروسى الذى يدار من طاجيكستان المجاورة ويركز على التسليح الخفيف والمعدات العسكرية الثقيلة.
بينما المجزرة دائرة على أشدها قاتلت قوات طلبان ببسالة نادرة حتى تمكنت من سحب جرحاها مع أكثر جثث القتلى عبر مطار المدينة. ثم عاد تحالف الشمال إلى

المدينة فى أجواء إحتفالية عارمة وسط إطلاقات نار مجنونة إبتهاجا، مع حفلات إغتصاب علنية وجماعية لم تحدث فى أفغانستان لافى وقت إحتلال "التتار" ولاحتى السوفييت.
الصيف التالى عام 1998 فجأه وبلا مقدمات وصلتنا أخبار فى قندهار بأن قوات طالبان قد دخلت مزار شريف . وأنها تباشر أعملا إنتقاميه ثأرا لما حدث لهم قبل عام . فى الحقيقة أنهم فعلوا كل ما يمكن أن تبيحه لهم أعراف الإنتقام القبلى . ولم يتخطوها ، كما فعل الشماليون فى العام السابق ، إلى الإعتداء القبيح على أعراض النساء .
وجدوا الفرصة سانحة فأقتحموا القنصلية الإيرانية وكان ذلك متوقعا بل هو جزء من البرنامج الإنتقامى نتيجة الدور غير الدبلوماسى الذى تقوم به القنصلية، ولكن المفاجأة غير المتوقعة هى كون الطاقم القنصلى كان متواجدا.
لقد كانت القنصلية فى الحقيقة أقرب إلى جهاز عسكرى يدير ويشارك فى توجيه حرب أهلية داخل أفغانستان . وكانت الأسلحة المصنوعة فى إيران والتى تصل إلى "تحالف الشمال " كبيرة جدا . ويقال أن هناك خبراء عسكريون شاركوا بالفعل فى قيادة قوات التحالف فى العديد من المعارك الهامة ، وذلك حسب معلومات حركة طالبان التى أدعت أن لديها القليل من الأسرى الإيرانيين .
ومع هذا فإن عملية الإقتحام القنصلية كانت غير صحيحة سياسا . والأدهى أن الذى حدث داخل القنصلية كان مفزعا . إذ أن عناصر طالبان بعد أن إحتجزوا أحد عشر دبلوماسيا لم يلبثوا أن فتحوا عليهم النيران وقتلوهم جميعا (أو تسعة فقط فى رواية أخرى) .
وما زلت مثل كثيرين أجهل كيفية دخول قوات طالبان بكل هذه السهولة والسرعة إلى مدينة هامة و محمية بقوة من أعتى المليشيات الشيوعية المتمرسة .
وأيضا أجهل مثل كثيرين لماذا لم تنسحب عناصر القنصلية الإيرانية من المدينة كما فعلوا المرة السابقة عام 1997 ؟ .
ولماذا ترك الإيرانيون دبلوماسييهم جالسين فى القنصلية مثل (البطة العرجاء) تماما مثل الأسطول الأمريكى الذى كان فى وضعيه غواية من أجل إستدراج المغفلين اليابانيين؟؟.
لم يكن إخلاء طاقم القنصلية صعبا. فالأمر لايحتاج لأكثر من عدة دقائق طيران بالهيليكوبتر ويصبح الطاقم كله فى أوزبكستان المجاورة والمعادية حتى الموت لحركة طالبان، وحليفة دوستم والمساندة الأعظم له ولقواته. والطائرات الهيلوكبتر متوفرة بكثرة لدى مسعود ودوستم وكلاهما حليف أكثر من مقرب لإيران.
وإذا إستخدمت السيارات فيمكن لطاقم السفارة أن يصل إلى جسر" حيرتان" على نهر جيحون فى خلال ساعة على الأكثر .
فهل إستخدم المخططون للعملية طاقم القنصلية الإيرانية كطعم يجتذب شهية الإنتقام لدى مقاتلى طالبان فتقع فى الخطيئة وينفتح باب العقاب على مصراعيه وتنشب حرب لم يكن لها أن تقع بغير هذا الأسلوب العبقرى؟؟.

تكفلت آلة الدعاية فى إيران بتحويل حركة طالبان إلى شيطان وتبدلت أولويات العداوة لدى الرأى العام الداخلى ، فأختفت أمريكا (كشيطان أكبر) وحلت محلها حركة طالبان (كشيطان رجيم) .
ولأول مرة منذ الثورة الإسلامية يحدث مثل ذلك التحول لدى الشعب الإيرانى . بل وتحولت السياسة الإيرانية الخارجية نحو مسار المصادمة مع طالبان . حتى أوشكت الحرب أن تنشب بالفعل ، وكان السيناريو لها جاهزا . وأعربت أوروبا نيابة عن الولايات المتحدة " حتى لا تثار الشكوك لدى الشعب الإيرانى " عن تأييدها لأى تحرك عسكرى إيرانى ضد " طالبان" أفغانستان. بدأت التحركات العسكرية الإيرانية تكون واضحة على الحدود . وإقيمت سواتر ترابية على الجانبين ، وأغلقت منافذ الحدود فى وجه الحركة التجارية أولا ثم أمام المسافرين بعد ذلك . وكان الجميع فى أنتظار طلقة البداية .
لكن مرشد الثورة " السيد الخامنئى " رفض مشروع الحرب الذى أعده السياسيون " المتآمرون". فأثبت رغم الشرنقه الخانقة المحيطة به ، أنه قادر على ضبط نغمات رئيسية فى إيقاع الحرب والسلام فى دولته .
ـ ولكن مهندس الكيميا السياسية إستمر فى إدارة التفاعلات . وتلميذه النجيب رئيس الجمهورية " خاتمى " كان يمضى بسرعة وسلاسة فى تنفيذ المطلوب لإتمام تحول جوهرى فى طبيعة النظام الحاكم . والبداية هى أفغانستان .
كان منطقيا أن يتحول الأمريكان إلى حليف فى مواجهة العدو الداهم الذى يتهدد إيران والعالم ، وهو حركة طالبان المتحالفة مع الإرهاب الدولى .
أخذ التحالف خطواته العملية الحاسمة بعد أحداث سبتمبر 2001 . ولكن لم يظهر بالتفاصيل الفضائحية إلا قبل قليل من إنتخابات الرئاسية الأخيرة فى يونيو 2009
ويبدو أن هدف خاتمى كان أحراج النظام كله وخاصة " مرشد الثورة " على إعتبار أنه المسئول الأول عن تلك القرارات الهامة . وإذا كان خاتمى تآمر وتعاون مع الأمريكان فى غزو أفغانستان فلابد أن يكون القرار قد حظى بموافقة المرشد الأعلى . إذن الجميع مدان وليس خاتمى منفردا رغم أنه كان رئيسا للجمهورية وقتها ... منطق وجيه .
ولكن المعروف عن " السيد الخامنئى " أنه ماكان ليوافق على قرار خطير مثل ذلك يخالف بصراحة كل مبادئ الثورة الإسلامية ووصايا الإمام الخمينى إلا أن يكون :
إما تحت ضغط وتهديد مادى ـ أو تحت حصار كامل من جميع عناصر صنع القرار الأخرى والمجالس الدستورية المتخصصة وكلها تحت سيطرة رفسنجانى {{ مثل مجلس تشخيص مصلحة النظام، ومجلس صيانة الدستور، ومجلس خبراء القيادة}} وهى التعبير المركز عن القيادة والسيطرة على كامل الدولة.
أو أنه تعرض إلى دفق هائل من المعلومات الكاذبة والمضللة من أجهزة الإستخبارات المختلفة ، ذلك كله مصحوبا بهستريا إعلامية على النمط الأمريكى عند هجومها على خصم مطلوب حرقه معنويا تمهدا لسحقه ماديا .

أو أن تكون الدولة الإيرانية قد تلقت تهديدا أمريكيا مثل الذى تلقته باكستان بتحويلها إلى دولة من العصر الحجرى إن هى لم تتعاون مع أمريكا فى غزو أفغانستان .
قد يكون ما حدث هو واحد أو أكثر من بين تلك الإحتمالات .

قبل الإنتخابات الرئاسية الأخيرة بقليل ظهر " السيد خاتمى " فى برنامج للتلفزيون البريطانى يشرح بالتفصيل ، وبثبات أعصاب نادر المثال ، مراحل التعاون مع الولايات المتحدة فى غزو أفغانستان موضحا كم كان هذا التعاون حيويا لنجاح الغزو، ولولاه ما تمكنت أمريكا من الإنتصار . بل أن بدايات الغزو التى كانت غير موفقة وغير ناجحة تغيرت عندما ثار أحد الضباط الإيرانيين ، وكان واحدا من أعضاء الوفد الحكومى فى لجنة التعاون المشترك مع الأمريكان .
ذلك الضابط الهمام غضب وثار وضرب بقبضته على الطاولة ، وقال أن العمل لايسير على ما يرام وأن الكلام أكثر من الأفعال وأن الضرب الجوى لن يحسم المعركة . فإذا كان الأمريكان ينشدون الإنتصار فعلا فى هذه الحرب فعليهم تقديم الدعم الجوى لقوات التحالف الشمالى لتمكينهم من دخول كابل ، وضرب أهداف طالبان الموضحة على تلك الخريطة ثم رمى على الطاولة خريطة موضح عليها المواقع المطلوب قصفها أمريكيا . أخذ الأمريكان الخريطة ودرسوها وتبنوا المقترح الإيرانى وصار هو (إستراتيجة الحرب) التى قادت بالفعل إلى النصر .
- لا شك أن ذلك الموقف "الخاتمى" هو من اللحظات النادرة التى يمكن للمرء فيها أن يشعر بالإحترام للرئيس الخائن " أنور السادات " .
وهو موقف يذكر المرء بشاعر الستينات فى مصر (إبراهيم عمار) الذى قال فى أحد قصائده :

فالخطايا تتحدى كالبغايا
بينما الخير عجوز أبكم ... فيه بله
لم يعد فى الأرض من يسمع له

لم يقف "سيدنا" عند ذلك الحد، بل واصل القول بأنه عند إقتراب الحرب الأمريكية على العراق، أرسل سيادته إلى الأمريكان (عارضا عليهم تكرار التجربة المشتركة بينهما فى أفغانستان). ولكن الأمريكان رفضوا التعاون هذه المرة وفضلوا أن "يعملوها" منفردين.
هل يمكن أن يصل الهوان إلى ذلك الحد؟؟ .. " يتقصع" السياسى" ويعرض نفسه" ويتمنع الزبون ويستغنى بقرف عن تكرار "التجربة المشتركة" !!.
فأى سوق هذا ؟؟ سوق سياسة أم سوق لشئ آخر وصفه "إبراهيم عمار" بدقة ؟؟..
{{ تطور هام جاءت به الحداثة.. فلم تعد البغايا يعرضن أنفسهن بتحد كما فى السابق. بل إنهن الآن يهاجمن ويغتصبن ضحاياهن بالقوة.. كما حدث فى أبو غريب وباجرام وجوانتانامو .. وهكذا الآن هو البغاء السياسى }}.

أثناء فترة رئاسة خاتمى قررت الولايات المتحدة إخراج إيران من طوق "الإحتواء المزدوج" وأبقت العراق وحدها داخل القفص. كما وافقت على رفع سعر النفط من عشرة دولارات أو أقل إلى عشرين دولارا للبرميل.
(من المفيد هنا مراجعة ماجاء فى الصفحات من 161 إلى 165 من كتاب الأستاذ محمد حسنين هيكل "عام من الأزمات 2000 - 2001 ". والكتاب صادر عن الشركة المصرية للنشر العربى الدولى)

وبالنسبة لإيران كان فى ذلك مساعدة لخاتمى فى برامجه الإقتصادية الداخلية ليظهر كحاكم ناجح محبوب من الشعب ويتصدى للتيار الثورى القوى الذى يعارض سياساته فى الداخل. وطمعت أمريكا فى أن سياسة خاتمى قد تقود فى النهاية إلى إقامة علاقات بين إيران وإسرائيل.
هذا هو الثمن فى سوق تراجعت فيه العقائد لصالح المواقف المدفوعة الثمن. وحوار الحضارات التى تمشدق به خاتمى وكأنه "أم الإختراعات" كان مجرد سلعة لها مقابل ولها ثمن يقاس بالدولار ويقاس بالدعايات والسمعة الدولية التى لاينالها إلا خاصة المتعاونين والمرضى عنهم.

لاأظن أن إيران يمكنها أن تصلح علاقاتها مع "العالم السنى"، وأن تقمع دعاوى الفتنة الطائفية التى أججها أعداء الإسلام، إلا بأن تضع "السيد خاتمى" فى قفص الإتهام وأن تحاكمه بتهمة الخيانة العظمى: خيانة الوطن الإيرانى والثورة الإسلامية، والأمة الإسلامية جمعاء ، تهمة التواطؤ مع أعداء الأمة فى العدوان والقتل والإحتلال فى كل من أفغانستان والعراق. وتهمة تضليل الشعب الإيرانى وقيادته العليا الممثلة فى المرشد الأعلى للثورة وتزويده بمعلومات كاذبة ومضللة بهدف إقحام الدولة فى حرب تضر بمصالحها الوطنية وتسئ إلى علاقاتها مع الجوار المسلم وتخدم أعداء الوطن والشيطان الأكبر الحقيقى.
كما أن معمل الكيمياء السياسية الضارة "بتشخيص مصلحة النظام" والذى لا يشخص سوى الأضرار بالأمة ومصالحها. ذلك المعمل ينبغى إغلاقه بسرعة ونهائيا. ومحاكمة القائم عليه حول كارثة أفغانستان، منذ وفاة الإمام الخمينى وحتى مجزرة الدبلوماسيين فى مزار شريف، الذين ذبحوا على الطريقة الأمريكية لتحقيق تحالف إستراتيجى مع الشيطان الأكبر وضد مصالح المسلمين ووحدتهم السياسية وسلامهم المذهبى. وأدت فى النهاية إلى تطويق إيران بالجيوش الأمريكية والأوربية بما يغرى هؤلاء بشن هجوم نهائى عليها أو إسقاط نظام الحكم بواسطة (ثورة مخملية) جهزوا لها فى أعقاب الإنتخابات الأخيرة فى يونية 2009 .
إذا لم يقدم هؤلاء إلى محكمة علنية أمام الرأى العام الإيرانى صاحب المصلحة الأولى، والشعوب المسلمة المهتمة والمتأثرة عميقا بكل ما يحدث فى إيران ذات الموقع والقيمة الإسلامية العالية، فإن الوضع الإسلامى العام سيواصل التدهور وقد تستشرى الفتن. ويكون القادم هو الأسوأ .. وجميع الأمة الإسلامية ستدفع أبشع الأثمان.

وهكذا فقط يمكن طى صفحة سوداء فى تاريخ المسلمين (سنة وشيعة) وأن تبدأ صفحة جديدة تقهر الفتنة ومشعليها من أعداء ومنافقين ومرتزقة.

وماذا بعد ؟؟

عصر نجاد القادم يعطى القليل من الأمل ـ وفى مرحلة كهذه يعتبر الأمل القليل بذخاً مفرطا. فنجاد مشهود له بالإنعطافات الحادة غير المتوقعة .

فى قضايا الأسرى من الجنود البريطانيين الذين إعتقلوا فى المياه الإقليمية الإيرانية مرتين. تم الإفراج سريعا عن الدفعة الأولى. أما فى المرة الثانية فقد إستقبلهم نجاد بنفسه فى القصر الجمهورى مودعا إياهم بكرم وحفاوة (حظى بعكسهاـ مثلا ـ الأسرى من المجاهدين العرب فى إيران) . وكانت رسالة مقروءة بأن الرجل صديق لبريطانيا والغرب وباقى القوات المحتلة للعراق ويراهم أصدقاء حتى لو دخلوا المياه الإقليمية لبلادة فى مهمة تجسسية مسلحة.

قبل الإنتخابات الرئاسية بأشهر قليلة دخل فى سباق محموم ليثبت للأمريكيين أنه حليف قريب ـ أكثر من اللازم ـ ومستعدا لأن يمضى إلى نهاية الشوط فى "الحرب ضد إرهاب القاعدة وطالبان فى المنطقة كلها " .

وحضرت إيران مؤتمر الجباية الذى عقد فى اليابان لصالح نظام زردارى. وكانت ضمن المتبرعين لدعمه فى إنشاء قوة عسكرية مكونه من ثمانين الف جندى لمحاربة " طالبان باكستان " بتكلفة إجمالية خمسة مليارات دولار .

ثم أرسل وزير خارجيته ليجتمع ثلاثيا مع كرازى ورحمانوف رئيس طاجيكستان فى رأس السنة الإيرانية لتجديد التحالف ضد الإرهاب فى المنطقة . عقد الإجتماع فى مزار شريف ... لا غيرها !! .

ثم إستدعى الثنائى المشبوه كرازاى وزردارى إلى طهران لعزف نفس اللحن جماعيا مرة آخرى وكان معهم فى غاية الإنطلاق واللطف، فى رسالة واضحة المعالم لواشنطن تقول : إن طهران على عهدها وأن لا فرق بين نجاد ومن كانوا قبله، خاتمى أو رفسنجانى . وأن معمل الكيميا السياسية فى طهران مازال فى كامل لياقته ومازالت معادلاته سارية المفعول. وأن نهاية المطاف هى الإندماج فى المشروع الغربى للمنطقة والعالم .

هذه شواهد تكفى للتدليل على أنه .. لا أمل .. أو على الأقل لا أمل كبير .

ولكن الإنتخابات الرئاسية أحدثت شرخا لا لبس فيه مع الغرب . وكانت الإنتخابات مشروع متكامل لثورة " برتقالية" أو"مخملية" إرتدت الثوب الأخضر هذه المرة . وكان قائدها " موسوى " هو القائد الجذاب الذى صفق له الغرب ورقص .

وشعارات موسوى هى نفسها شعارات السادات وعباس والسنيورة والمالكى وكرازاى وزردارى وكل ذلك الصنف البائس الكريه .

هذا الشرخ هل يتطور إلى خصام وعداوة مع أمريكا والغرب ؟ . الإحتمال ضعيف ، ولكن حتى هذا الإحتمال الضعيف يستحق لحظة أمل قد تدوم أو لاتدوم طويلا .

فإذا عادت ريما إلى عادتها القديمة ـ فعلينا أن نشدو مع شعب العراق العظيم والراحل ناظم الغزالى : (ومعَود على الصدعات جلبى ليلا) . (1)

....
....
....

هامش:

(1) كنت أود الإستغناء عن تلك الفقرة ومثيلاتها. ولكن ما حيلتى وأنا من قوم عندما يواجهون شر البلايا لايمسكون أنفسهم من الضحك. ذكرنى ذلك بيوم خرجنا فى مظاهرات ضد النظام لأول مرة فى حياتنا. وكنا طلابا فى جامعة الإسكندرية نتظاهر محتجين ضد أحكام مخففة صدرت ضد جنرالات نكسة عام 1967.
الدفعة الثانية من تلك المظاهرات كانت عام 1969. وفيها أرسلت لنا الحكومة قوات أمن كثيفة. وسقط منا ضحايا، قتلى وجرحى، وتكتمت الحكومة كالعادة دوما. كان شعارنا وقتها نشيد (بلادى بلادى) وهو شعار حماسى لثورة 1919 . ولكن عند رؤية رجال الأمن زاحفين نحونا كنت أتضاحك مع زملاء لى بأغنية شعبية شهيرة تقول كلماتها: (الليلة ليلة خميس .. طالع لنا جمعة)
وكنا نقصد بها " شعراوى جمعة" وزير الداخلية وقتها.

أجدادنا من جيل ثورة 1919 كانت لديهم أغنية شهيرة جهزها لهم ذلك الثائر الإسكندرنى " الشيخ سيد درويش". الأغنية ثورية تماما ولكن فى ظاهرها تتناول موضوع "القلل القناوى" المصنوعة من الفخار وتتغزل فى جمالها، وتدعو السامع إلى شراء قطعتين منها.
الحقيقة لم تكن كذلك، فالأغنية كانت تذكر المصريين بموقعة حدثت فى الإسكندرية بين سكان أحد الأحياء الشعبية وبين جنود الإحتلال البريطانى المزودين بالأسلحة الحديثة. ولم يكن لدى "الإسكندرانية" من وسيلة دفاع سوى مصادرة شحنة من " القلل القناوى" يمتلكها بائع فقير يعمل على عربة خشبية متنقلة، فاستخدموا "القلل" مثل راجمات المنجنيق. وكانت "مفاجأة تكتيكية" أفقدت الإنجليز توازنهم، وكسب "الإسكندرانية" المعركة، ولو مؤقتا. وصارت الإسكندرية ومعها مصر كلها تشدوا أنغام ذلك النصر مع الشيخ سيد درويش:
(مليحة جاوى القلل القناوى .. قرب تعالى خد لك قلتين)
ودفاعا عن النفس والوطن كان لابد من شراء قلتين لكل مواطن.

الفصل الرابع:

من " شرك القبور" إلى شرك الشركات متعددة الجنسيات

لا جدال أن الأخ "أبو عبد الله"/ أسامة بن لادن/، يمتلك من الصفات الأخلاقية العالية مالا يمكن أن يقاربه فيه إلا النذر اليسير من البشر . صفات مثل الشجاعة والكرم وسماحة الخلق والصدق .. إلى آخر قائمة طويلة من صفات يكاد يندثر معظمها عند معظم الناس .

و"أبوعبد الله " هو المثال الناطق لتيار هام فى العمل الإسلامى المعاصر هو ما أصطلح على تسميته " السلفية الجهادية" .. والخلاف مع أبوعبد الله وتيار السلفية لا صلة له بتلك الصفات العالية التى لا نزاع فيها ، ولكن الخلاف كله ينصب على القدرة فى ترتيب الأولويات الفقهية والسياسية والحركية .

التناول الإسلامى الحديث لموضوع الفقه يحتوى على الكثير من الإشكاليات . ويتجلى ذلك بشكل أوضح لدى السلفية ، خاصة عندما توفرت لها فرصة التحدث من موقع القوة سواء فى السلطة ـ عند السلفية الملكية السعودية ـ أو موقع قوة السلاح كما فى السلفية الجهادية التى تجلت فى حياتنا المعاصرة منذ الحرب الأفغانية السوفيتية .

فى أفغانستان رغم الخلاف الفقهى الشديد بين عوام الأحناف وبين إخواننا المجاهدين السلفين ، إشترك الطرفان فى الخلط بين الدين وبين الفقه ، واعتبار أنهما شيئ واحد. وبالتالى أى خلاف فى رأى فقهى هو خلاف فى صلب الدين يستدعى فى الغالب الإحتكام إلى السلاح الذى لا بد أن تسبقه إتهامات التكفير أو الشرك .

ـ ومعلوم أن المذهب الفقهى ماهو إلا طريقة إرتضاها العالم المجتهد لإستخلاص الأحكام من النصوص الشرعية الثابتة لديه .

فيكون الدين فى هذه الحالة مثل نهر من الماء العذب الذى يذهب إليه العالم المجتهد صاحب المذهب كى يغترف منه الأحكام بواسطة وعاء صنعه بنفسه .

إذن تختلف المذاهب كما تختلف أشكال وأحجام الأوعية التى نغترف بها الماء.

كما أن نقاء الماء فى الوعاء يتأثر بمكان ملء الوعاء، وإبتعاد مكان الإغتراف عن الشاطئ وما يحتوى من أعشاب أو أتربه .

وما نأخذه حاليا على السلفية والمذاهب السنيه الآخرى هو توقف الإجتهاد لقرون طويلة، بينما المسلمون فى أشد الحاجة حاليا لإعادة فتح باب الإجتهاد لمن تتوفر فيه الشروط الشرعية .

ـ ولا أظن أن ذلك ممكننا الآن بعد عشرات السنين من الخراب الحادث فى المعاهد الدينية والتسلط السياسى على العلماء ومصادرتهم لحساب السلطة ولحساب أصحاب المليارات والترليونات من الدولارات .

سبب الحاجة الماسة إلى الإجتهاد هو أن النهر نفسه قد لوثه عمدا أعداء الإسلام وصبوا نفايات سامة فى مجراه. لذا لايمكن الآن مجرد الإغتراف والشرب بمجرد إناء أنيق وجميل. إذ لابد من عمليات تكرير وتصفية ومعالجة كيماوية.
وفى الماضى كما فى الحاضر من غير الممكن إجبار كل الناس على إناء فقهى واحد (مذهب) فذلك يعنى إستخدام القوة ووقوع الفتنة. فلكل منطقة ظروفها وثقافتها وبالتالى فقهها المفضل. لذا رفض الإمام مالك رضى الله عنه أن يستخدم الخليفة العباسى القوة فى فرض الفقه المالكى على كل المسلمين فى إمبراطورية مترامية الأطراف . والإمام الشافعى رضى الله عنه عندما استقر به المقام فى مصر ضرب صفحا عن مؤلفاته الفقهية السابقة وشرع فى كتابة فقه جديد لشعب فريد فى خصائصة وثقافته وظروف حياته .
وهذا يدل على أن المذهب ، ومهما كانت عظمة المجتهد ، هو شيئ مؤقت فى الزمان ومحدود بالمكان . وأى تغير فى هذين العنصرين يستدعى إجتهادا جديدا وإلا تجمد الفقه كما هو حادث معنا الآن . وبما أن الحياة لا تتجمد بل تتطور بسرعة غير عادية خاصة فى هذا العصر ، فإن الناس تجد نفسها أمام إختيارين لا ثالث لهما :

1 ـ إما اللجوء إلى غير مؤهلين لأخذ الفتوى منهم . لأن معاهدنا الدينية لم تعد توفر الزاد العلمى الكافى لظهور الفقيه المجتهد ، ولا النظام السياسى يسمح بظهور تلك النوعية من العلماء بل يراهم خطرا وجوديا عليه .

2 ـ الثانى هو أن يفتى كل إنسان نفسه ويتصرف وفقا للضمير أو الهوى أو المصلحة العامة أو كيفما أتفق . والخطير هنا أن يحدث ذلك فى حركة جهادية أو فى "مشروع دولة إسلامية " كما حدث تحت أعيننا فى أفغانستان، وأظنه مازال يحدث مع حركاتنا الجهادية المعاصرة سلفية وغير سلفية .

<u>ونظرا لأهمية وخطورة هذه النقطة . نضرب عليها أمثلة عملية :</u>
تعرض الجهاد فى أفغانستان لعدة " مطبات " فقهية خطيرة ، أدت إلى سيطرة " الفقه الذاتى " فى الكثير من المواقف الحرجة , والفقه الذاتى هو ما تحدثنا عن أنه يتم وفقا للضمير أو الهوى أو المصلحة العامة المرسلة .
وبعد قيام " الإمارة الإسلامية " التى رفعت شعار تطبيق الشريعة الإسلامية ، خذلتها الإجتهادات الفقهية ، فورثت العديد من " المطبات الفقهية " من المرحلة السابقة فى وقت كان القتال دائرا مع المعارضة المسلحة ، أو "المخالفين" طبقا لتعريف الإمارة لهم .
قبل الإحتلال السوفيتى حدث خلاف شديد فى مسألة "ولى الأمر" والخروج عليه . وكان الملك ظاهر شاه ثم إبن عمه "دواد" قد سمحا بنشاط غير مسبوق للسوفييت والأحزاب الشيوعية. فحاول الشباب المسلم الثورة والخروج على الحاكم، ولكن الفقه السائد كبل حركتهم، وحجب التعاون الشعبى معهم. والذى إستمر منهم فى مقاومة النظام وجد نفسه وحيدا. فقتل او إستسلم أو هرب إلى خارج البلاد.

ـ عندما إستولى الشيوعيين على الحكم منفردين بدأوا مذابحهم ومطارداتهم لمظاهر التدين، أعلن العلماء الجهاد. ولكن إختلفوا فيمن يكون "ولى الأمر" فى هذا الجهاد وما هى مواصفاته. ومن بالتحديد هو الأولى بالقيادة فى هذه الظروف.
إنتهت الخلافات بأن تولت حكومة باكستان " تعيين" قادة الجهاد طبقا لمصالحها وظروفها. وعندما إقتحمت أمريكا الساحة صارت المواصفات الأمريكية هى السائدة فى "تعيين" قادة الجهاد(!!). واستخدمت فى ذلك حكومات المملكة العربية السعودية و باكستان ثم قيادات بارزة للعمل الإسلامى الشعبى بشقيه (السلفى)(والإخوانى). والذى ينظر إلى النظام الذى الحالى الذى أقامه الإحتلال الأمريكى فى أفغانستان يجد أهم تلك القيادات الجهادية القديمة مازالت تعمل بنشاط فى خدمة الإحتلال وهى التى كانت ترفع السلاح فى وجه الإمارة الإسلامية(!!).
ـ " الغنائم" كانت مأساة حقيقية، ولم تؤد دورها فى دعم الجهاد وإغناء المجاهدين عن الخارج. فذهبت غالبا إلى غير مستحقيها وتسببت فى نشوب معارك وعداوات. لتفادى تلك السلبيات عمدت حركة طالبان فى عهد الإمارة الإسلامية إلى إلغاء توزيع الغنائم وتحويلها بالكامل إلى"بيت المال". لم يناسب ذلك القبائل، فتقاعس الكثير منهم عن نصرة الإمارة وتوقف عن المساهمة فى قتال أعدائها.
ـ مفهوم "الولاء والبراء" تعرض لإمتحان عسير فى أوساط القبائل التى توزعت بين سبعة أحزاب جهادية. جزء من تلك القبائل إنضم إلى الحكومة الشيوعية وعمل كميليشيات مسلحة معهم. وحتى فى مجموعات المجاهدين لم يكن الولاء المزدوج بين الحكومة الشيوعية والمجاهدين مسألة غريبة على الساحة.
نفس مفهوم الولاء والبراء تعرض لمحنة أخرى عند التعامل مع الجهات الخارجية غير إسلامية. حيث كانت القاعدة هى قبول المساعدات مهما كان نوعها ومن أى جهة جاءت، وعاملوها كغنائم حرب متاحة. ولم يكن الأمر كذلك فدول الغرب لم تكن بهذه البلاهة. وغالبا ما أدت تلك المساعدات إلى مصائب وإنحرافات حقيقية. وينطبق هذا على معظم المعونات "الإسلامية" التى جاءت من حكومات موالية للدول الغربية مثل السعودية وباكستان وغيرها.
ينسحب ذلك على حرية الجبهات فى إقامة علاقات وصداقات مع ممولين خاصين لها من خارج البلاد. وكان هؤلاء يصولون ويجولون بين المجاهدين للإطلاع على أحوال الجبهات " ودراسة إحتياجاتها للعمل على توفيرها". وكذلك التعامل مع المؤسسات "الخيرية" الدولية العاملة فى الطب والتعليم. إلى آخر قائمة طويلة من الكوارث. العديد منها ورثته "الإمارة الإسلامية" وظل سارى المفعول.
الإمارة الإسلامية واجهت تحديات فقهية خاصة بالحكم وتأسيس الدولة. ولم يكن لديها فقهاء مؤهلون للإجتهاد فى تلك المسائل، فاعتمدت على فقهاء باكستانيين ممن أحسنت بهم الظن وهذا التقدير لم يكن صائبا فى أغلبه.
أولا: من جهة أنهم غرباء عن أرض أفغانستان وغير مطلعين على تفاصيل واقع الحياة بها. فكان أن ورط هؤلاء الفقهاء الإمارة فى مشاكل كانت فى غنى عنها. واستدرجوها إلى معارك حول فرعيات لا أصول لها. فزادت من عدد الساخطين وتقوت بذلك المعارضة المسلحة. وزايد الفقهاء المستوردون فى مسائل كان فيها سعة واتخذوا منحى

متشددا بلا مبرر. مثل ضرب الرجال إذا قصروا اللحى أو لبسوا ملابس إفرنجية، أو كانت زوجاتهم إلى جانبهم فى الطريق على أى حال من المخالفات البسيطة فى المظهر.. وكان لذلك أثر سئ للغاية فى مجتمع يفخر فيه الرجل بقوة شخصيته أمام زوجته. وبهذا تحول عديدون إلى مقاتلين حتى الموت ضد الإمارة. ثم وصلت التأثيرات السعودية التى تجلت فى أشياء مثل منع الناس بالقوة من الإحتفال بعيد النيروز(على إعتبار أنه عيد غير إسلامى) ناهيك بالطبع عن منع الشيعة من الجهر بإحتفالاتهم الدينية وعلى رأسها مآتم عاشوراء.

وقد شاهدنا فى كابول /فى أواخر أيام طالبان/ بعض السعوديين الغلاظ الشداد "يقترفون" الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى شوارع كابول ليلا. وكانوا من "اللطف" بدرجة ظننت معها أنهم فرقة إعدام جاءت للبحث عن فارين.

وكان علماء باكستان يجهزون مكتشفاتهم العجائبية ويضعونها فى رسالة على صورة فتوى. وعبر مكتب لهم فى كابول يرسلون تلك الفتاوى إلى دار الإمارة فى قندهار،الذى يصبح ملزما بوضعها فى صيغة قانون يوقع عليه الأمير، ويصبح القانون واجب النفاذ فورا. تلك الآلية كانت بكل بساطة: كارثية**!!**.

لأنها مقطوعة الصلة تماما عن إحتياجات الناس وظروف المجتمع. مرتبطة فقط بكتب مجهولة الأسماء، وكل مؤهلاتها تكمن فى أغلفتها الممزقة ورائحة أوراقها العتيقة. وهذه هى كل قداستها**!!**.

بفضل هؤلاء "الفقهاء" ما لبثت الإمارة أن ظهرت بمظهر الحكم المتخلف. ولولا خدماتها الكبيرة فى حفظ أمن الناس بشكل مدهش لخسرت قاعدتها الشعبية بسرعة.

مازلنا نتكلم عن إرتباط الفقه بالواقع. وإرتباط الفقيه بحقيقة حياة الناس، وخطورة إنفصال الفقيه عن الحياة، وغرقة فى بطون الكتب. إن الناتج من عمله الإنعزالى هذا لايسمى فقها ، بل هو تراث فقهى أعيد إكتشافه، يصلح للعبرة والتأمل ولكن نادرا ما يصلح كقوة قائدة موجهة ومحركة للواقع.

سمعنا عن عالم دين شهير فى قناة فضائية نفطية، يعكف على تصنيف موسوعة فقهية عن الجهاد، بهدف تجنيب تلك الفريضة، التى بدأت على خفر وإستحياء أن تكون حاضرة، مغالاة البعض وتطرفهم أوجهلهم الفقهى.

طبيعى أن الشيخ سوف يغوص فى أعماق بحار الكتب القديمة حتى يعود لنا بالجواهر الفريدة. ونقول لسيدنا الشيخ أن ذلك لايكفى أبدا. ولينظر فضيلته إلى الطالب فى كلية الطب، فيجده يدرس نظريا وعمليا فى كلية الطب لمدة ست سنوات، ثم يعمل طبيبا تحت التمرين لمدة عام آخر حتى يحصل على إجازة كى يمارس "كطبيب مبتدئ". هذا مع العلم أن علم الفقه أهم وأخطر على حياة الأمة من علم الطب. لذا فيجب على من يكتب عن فرائض الإسلام أن يعايشها عمليا. فالعبادات لايكتمل فهم حكمتها وأسرارها بدون مكابدتها عمليا إضافة إلى البحث النظرى.

وهكذا الجهاد، فكيف يكتب عن فقه الجهاد من لم يكابد ظروفه ويعاين تعقيداته ومشاقة. وكيف تكون الكتب القديمة، على أهميتها، كافية للإجابه على تحديات لم تظهر سوى فى أوقات متأخرة جدا ؟.
أقول أن ذلك مستحيل. فقد ترفع السادة العلماء عن الممارسة العملية للجهاد. وتركوا الشباب يتخبط فيها وحيدا. لذا فأى كتابة (عن بعد) موجهة للشباب المجاهد حول موضوع الجهاد، لن تكون مجدية. اللهم إلا إذا كان المقصود منها تحقيق أهداف سياسية للحاكم المحلى أو الحاكم الدولى بهدف إحباط وإفشال الجهاد بشكل أو آخر.
ليس هذا فقط بل أن السادة العلماء مسئولين عما حدث ويحدث فى مسيرة الجهاد التى مازالت تنطلق بلا توجيه فقهى من علماء يتقدمون الصفوف فى القتال وفى الإفتاء معا. خاصة فى وقت كهذا تكون الأمة فيه مهددة إما بالإقتلاع أو بالإذابة الدينية والعقائدية والثقافية.
وبدلا من إعتراف السادة العلماء بخطئهم هذا، وتقصيرهم فى أداء رسالتهم الدينية، نراهم يتصدرون صفوف المنددين بالشباب المجاهد، واقفين فى صدارة صفوف فراعنة الغرب والشرق وجبابرة العرب الأقزام، يكيلون السباب والتشهير، ناعتين خير شباب الأمة بصفات الإرهاب والتطرف.
أوليس ذلك منهم "إرهابا" فقهيا، و "تطرفا" فى التخلى عن مهمة دينية مقدسة ؟؟.
أوليس فى ذلك خيانه لله ورسوله والمؤمنين ؟؟
أفيدونا يرحمكم الله.. كيف تفهمون عقيدة التوحيد.. وعقيدة الولاء والبراء ؟؟.
بل لمن تتوجهون فى عبادتكم فى حقيقة الأمر.. للدولار .. أم لله الواحد القهار ؟؟.

....

....

....

يتباهى إخواننا السلفيون بعقيدة يتعالون بها على باقى "الفرق" الإسلامية. خاصة فيما يتعلق بالتوحيد وفهمهم الخاص لها. ويضعون ذلك الفهم فى مقابلة الشرك الذى لايكاد ينجو منه مسلم فى نظرهم. مع التركيز بشكل مبالغ فيه على ما أسموه "شرك القبور"، وذلك عنادا مع الصوفية والشيعة. ورغم أن هؤلاء لديهم فى معظم الأحوال نصوصا يدفعون بها عن أنفسهم . وبما أن كل طرف لديه من النصوص الصحيحة عن طريقة، فكان من المفروض أن يكون ذلك كافيا لوقف الجدال، أو المهاترات، ويبقى كل طرف على قناعاته العلمية، مع إبداء الإحترام أو على الأقل التناسى لما يعتقد الآخر ويمارس. إلا أننا نشاهد بعض السلفيين يصرون على إبقاء تلك الجماهير الغفيرة خارج أسوار الإسلام بل ويستخدمون ضدهم القوة ، عندما تسنح الفرصة، كنوع من الجهاد ضد المشركين والكفار.
وفى ذلك الكثير من التجنى والتعنت، مضافا إليه الفشل فى ترتيب الأولويات الفقهية، والعجز الدائم عن إدراك الخطر الداهم الذى يهدد الأمة من داخلها ومن خارجها.
فإلى جانب إصرارهم العجيب على حصر مفهوم "الشرك" فى "شرك القبور" تحديدا، تحولت دعوة "التوحيد" بين أيديهم إلى وسيلة عملية لتفريق للأمة وتمزيقها

وبث الصراعات فى جنباتها. ذلك فى الوقت التى أتحدت فيه باقى الأمم لترمينا عن قوس واحدة فى إتحاد نادر الحدوث فى التاريخ البشرى. فلم يكد يشذ عنه دين أو ملة أو تكتل سياسى، حتى شمل أغلبية مسلمة معتدلة من الحكام وأصحاب الثروات وعلماء الدين !!!.
ولا يكاد ينعقد مؤتمر دولى إلا وتكون فاتحة الكلام هى صب اللعنات على "الإرهاب والتطرف الإسلامى" ـ أى الجهاد والمقاومة الإسلامية ضد الطغيان الأجنبى على شعوب وبلاد وحقوق المسلمين ـ
الطبيعى والمنطقى فى ظرف مثل هذا أن يكون توحيد القوى الفاعلة للأمة هو"أهم فرض الأعيان" والعكس صحيح، أى أن يكون العمل على تفريق قوى الأمة وإيقاعها فى الفتن والكراهية والتنابذ والتشنيع الذى يوغر الصدور ويحض على القتال، هو أشد الجرائم التى يمكن أن يرتكبها إنسان ضد الدين والأمة، بل وأكبر الخيانات لله ورسوله والمؤمنين.
فالطبيعى فى ظروف كالتى تعيشها أمتنا الآن أن تكون مجهودات توحيد الأمة وربط أواصرها وسد الثغرات بين صفوفها هى قمة فروض الأعيان.

ولكننا نرى الآن فئات من إخواننا الأعزاء تتصايح لإنقاذ الأمة عن طريق تمزيقها وإشعال نيران الفتن الطائفية بين فئاتها!!. ولكن إنقاذ الأمة لايأتى بقتلها، وشفاء المريض لايكون بسكب النفط على جسده وإشعال النار فيه. ومن يفعل ذلك ليس بطبيب بل هو مجنون قاتل أوعدو يظهر الغيرة والحرص على شفاء المريض بواسطة القضاء عليه كليا حتى لا يشكو بعد ذلك من أى مرض وتزول عنه كل الآلام.!!.
ومازال إخواننا على إصرارهم على أن المشكلة الأولى التى تواجه الأمة الإسلامية الآن ومنذ أكثر من عشرة قرون هو وجود فرقتين هما الصوفية والشيعة، وبعدهما يصبح الإسلام بخير. وذلك التصور غير صحيح لاعلميا ولا عمليا. ففهيا فإن المجموعتين هما من المسلمين قطعا.. ومهما صغرت أو كبرت الإختلافات فهى لا تخرج أيهما/ على وجه الإجمال/ من دائرة الإسلام.
فالصوفية كما يعلم الجميع يشكلون غالبية أهل السنة والجماعة. فإذا خرج هؤلاء من الإسلام وطردنا خلفهم الشيعة فكم يتبقى من أمة الإسلام؟؟ تبقى فرقة واحدة من عدة آلاف أو على الأكثر عدة ملايين أقل من قبضة اليد، أو اليدين.
هكذا يكون طرد الناس من دين الله أفواجا بلا أى مسوغ علمى من علماء المسلمين المعتبرين قديما أو حديثاً.
وفى مثل ظروفنا الحالية نحن فى أشد الحاجة إلى علماء على درجة من المتانة العلمية و الأدبية التى كان عليها شيخ الأزهر السابق الشيخ محمود شلتوت حين قال بوضوح: (إن المذهب الشيعى الإثنى عشرى "الجعفرى" هو أحد المذاهب الإسلامية الخمسة التى يجوز للمسلم أن يتعبد الله بأى منها) .. هكذا بجرأة الحق لدى عالم حقيقى. والمعلوم أن الأزهر "الشريف" وهو أقدم وأكبر جامعة دينية فى العالم الإسلامى ظل يدرس المذهب الشيعى الجعفرى حوالى ستة قرون مع توقف دام قرنا

"بدأ من عهد الأيوبيين لأسباب سياسية بحتة" ثم توقف آخر، ثم توقف نهائى بفعل الإستعمار البريطانى، ثم تلك العهود التى تلته وورثت عداوة البريطانيين للإسلام فى مصر. فرأت فى الأزهر خطرا كامنا يجب وضعه فى قفص أمنى مازال يرزح فيه حتى الآن.

الإتهامات بالشرك أو بالكفر تكون محتملة/ وإن بصعوبة/ إذا كانت السلفية فى حالتها "الدعوية" . ولكن الكارثة تقع عندما تصبح السلفية مسلحة، وتكتسب لقب "السلفية الجهادية". أى تصبح قادرة على فرض عقائدها بقوة السلاح. وبعضهم عندما وجد الفرصة مواتية مارس تدمير المقابر والأضرحة بل والمساجد والتجمعات السكنية وحتى الأسواق والمقاهى. وبهذا تشهد أحداث العراق وباكستان ومن قبلهما الجزائر، ونسأل الله أن تظل أفغانستان صامدة خاصة بعد نداء القاعدة الأخير إلى المسلمين " من أرض الجهاد فى أفغانستان"!!! .

وقلنا سابقا أن أفغانستان تبقى ممتنعة على غوايات الفتنة الطائفية طالما ظل الملا محمد عمر ممسكا بقوة على زمام القيادة، متصديا للإغراء أو الغواية أو التوريط الذى مارسة العرب من قبل .. بل مارسته معه القاعدة تحديدا.. وقد تناولنا ذلك التاريخ مرارا لأخذ العبرة لا لأن نجعل من ذلك الخطأ "إستراتيجية عمل" نمارسها أينما مارسنا الجهاد "السلفى" المسلح.

وكأننا كنا فى أفغانستان أمام ثلاث مواقف للسلفية الجهادية إزاء الملا محمد عمر وإمارته الإسلامية:

فريق يرى أنهما كافران ـ وفريق ثانى قال بأنهما مشركان فقط ـ وفريق ثالث قال بل هما مسلمان (ولكن ـ عمليا ـ لا يجب الوفاء بالعهد معهم).

وذلك الفريق الأخير هو الذى تمكن من إسقاط الملا عمر وتدمير الإمارة الإسلامية فى أفغانستان.

ظلت أفغانستان، فى غالب وقتها، عصية على إشعال الفتن الطائفية، التى كان ذلك الشعب بفطرته السليمة اليقظة يطفئها سريع عندما تشتعل. سواء كانت بين سلفيين وأحناف أو بين الأحناف والشيعة. ولذلك أمثلة كثيرة حدثت فى أوقات الجهاد مع السوفييت ثم فى عهد الإمارة الإسلامية.

تحت شعار (وقف الفتنة) حاول علماء من "المملكة" وتلاميذ لهم إيقاف الجهاد فى أفغانستان بعد الإنسحاب السوفيتى فى فبراير 1989 على إعتبار أن الجهاد ضد الحكومة الشيوعية فى كابول هو فتنة داخلية وقتال بين المسلمين. وكان وقف الجهاد مطلبا أمريكيا عاجلا، خوفا من أن يتمكن المجاهدون من دخول كابول وإقامة حكومتهم الإسلامية، بعيدا عن المؤثرات الخارجية (أمريكية، باكستانية، سعودية).

جاءت "الكتيبة الدينية" السعودية إلى بيشاور لتجتمع بالشباب العربى وتقنعهم بالرحيل وعدم الجهاد إلى جانب الأفغان " القبوريين" حسب تعبيرهم.

لكن الشيخ عبد الله عزام تصدى لهم بمقولة هامة لو إستوعبها المسلمون وقتها لتغيرت الكثير من الأمور. قال لهم الشيخ: هؤلاء الذين يتحدثون عن شرك القبور، لماذا لايتحدثون عن شرك القصور؟؟.

ثم ما لبث أن أغتيل الشيخ فى جريمة بشعة تدل قرائنها على تورط باكستانى سعودى إسرائيلى أمريكى. أى نفس التحالف الإستخبارى العامل فى القضية الأفغانية لمجابهة السوفييت (والمسلمين أيضا).
وكان الشيخ رحمه الله إخوانيا سلفيا. إخوانى (غير تنظيمى) وسلفى (غير ملكى)، فكان بذلك يختلف عن سلفيو الجهاد الآخرين.

……
……

هناك عقائد إسلامية عظيمة تأخذ مصاديق جديدة مع كل عصر طبقا للتطور المستمر فى حياة الناس. ذلك التطور يعطى مصاديق جديدة حتى للإيمان والكفر، أوالتوحيد والشرك. فلا يعقل أن يظل "التوحيد" ذلك المبدا الأعظم فى الإسلام منصرفا إلى مكافحة "شرك القبور" . ذلك الشرك الموهوم فى أكثر الأحوال، فلدى الصوفية والشيعة ما يستحق الإنصات إليه . أما ممارسات العوام فالكثير منها يعود إلى (شرك الجهل والفقر والحاجة والقهر السياسى وهى "موبقات" يجب أن تنقشع عن المجتمعات). الأمر الذى سيستلزم القضاء على الفقر والإستبداد وإحتكار السلطة والثروة .. وقبل كل شيئ التحرر من السطوة الخارجية المباشرة (الإحتلال) أو غير المباشر (تحالفات السلام والصداقة والتعاون المشترك).
المشكلة الحقيقية التى تهدد التوحيد ليست فى المقابر بل فى القصور التى تحولت إلى سماوات للآلهة تقضى وتحكم فى كل شيئ. تعطى وتمنع، تحيى وتميت ، تعز وتذل. هنا الشرك الحقيقى الذى لا شبهة فيه بجهل أو بنص غير ثابت. ومع ذلك يرقد أكثر العلماء على أعتاب حكام الجور فى إنتظار "الجراية" والرضا الحكومى.
كيف نفهم معانى التوحيد فى مقابل إرتماء هؤلاء الجبابرة الذين يحكموننا على أعتاب البيت الأبيض والكنيست، وتمسحهم بأحذية اليهود، وخدمتهم لإسرائيل بأكثر مما يخدمها باقى يهود العالم ؟؟.
كيف نفهم التوحيد والشرك فى مقابل الشركات متعددة الجنسية عابرة القارات محتكرة ثروات الشعوب، شركات تغنى وتفقر ترفع وتخفض تحى وتميت، تـأتى بالسلام أو تعصف بالحروب. تسجد على أعتابها دول جبارة تطلب الرضا، وتزحف دول متوسطة تطلب السلامة ونظرة العطف. وأكثر ما يطمح فيه الجبابرة الحاكمين لبلاد المسلمين هو أن تتفضل عليهم تلك الشركات وتتكرم بالسماح لهم بدفن الروث المقدس لتلك الشركات فى بطون المسلمين وبطون الأنهار والأراضى الزراعية. شركة واحدة من تلك الشركات تمتلك ثروة لاتحلم بها عشرات من الدول الإسلامية مجتمعة.
أما البنوك اليهودية الدولية فتحتوى فى خزائنها التى بلا قاع على ثروات العالم متمركزة فى سبائك الذهب الجاهز للسيطرة على كل شيئ يدب على ظهر الأرض بعد دمار العالم فى "هرمجدون" وحكم "ملكهم الأكبر من نسل داوود".

شركات متعددة الجنسيات تحكم وتتحكم فى كل شئ يجرى تحت أبصارنا الآن.
وبنوك يهودية عملاقة، من الآن جاهزة بالفعل للتحكم فى العالم وكل البشر بواسطة حكم لايعرف شفقة ولا رحمة.
(بنك واحد من تلك البنوك اليهودية سرق 400 مليار من أموال عرب النفط وهربها إلى إسرائيل ثم أعلن إفلاسة، ذلك هو بنك "ليمان براذرز" الأمريكى).

فلماذا يظل مفهومنا للتوحيد والشرك سجينا فى القبور تاركا الأرض لهؤلاء الشياطين ؟؟. فهل يمكن أن نسأل أنفسنا: لمصلحة من هذا الإصرار على صرف أنظار المسلمين عن الإتجاه الصحيح لفهم عقائدهم وفقا لمعطيات العصر ؟؟.
إلى متى نبقى بين القبور نبحث عن معنى التوحيد والشرك تاركين الأرض والبحر والفضاء لشركات الجبابرة متعددى الجنسيات وتاركين الحاضر والمستقبل بأيدى أشد الناس عداوة للناس ولرب الناس ولجميع الأنبياء والرسل ؟؟.
كيف نفهم التوحيد والشرك وقد باع الجبابرة عندنا مفاتيح الثروة لتلك الشركات وتلك البنوك. وفتحوا لها الأسواق. ويمهدون باقى ثرواتنا من أرض زراعية وماء شرب لبيعها لهم فى القريب العاجل. وتبقى شعوبنا بلا أوطان ومجرد باحثين عن وظائف لدى تلك الشركات، التى سترى فى معظمنا مجرد عمالة زائدة يجب طردهم خارج ممتلكاتها، واستيراد عمالة ماهرة من بلاد أخرى أكثر تطورا لها ديانات غير إرهابية أو حتى بلا ديانات أصلا.
إنه إحتلال بالشركات بعد أن كان الإحتلال القديم يتم بالجيوش. وحتى التواجد المادى لشعوبنا الإسلامية سيصبح غير إقتصادى من عدة جوانب. حتى أن بطوننا سوف تشكل خطرا على سيارات هؤلاء المترفين ، فبينما تطالب بطوننا بالفول والحمص والسكر كطعام ، تطالب سياراتهم بنفس المواد من أجل وقودها الخاص صديق البيئة الخالى من الكربون، ومعروف أن بطون الفقراء بما تحويه من فول وقمح وحمص،تنبعث منها غازات ليست صديقة للبيئة، لذا فقد تحتوى مشاريع تخفيض الإنبعاثات الغازية الضارة، التخلص من عدة ملايين من البشر الفقراء ذوى الإنبعاثات الغازية الضارة وغير المعيارية.
الأرزاق، والحياة والموت، والمعرفة والعلم والقدرة، ... جميعها تنصرف تدريجيا وبأيدى "الموحدين" وغير الموحدين إلى جهات غير اللة.
وتتسابق البنوك الكبرى، على توظيف المشاهير من كبار رجال الدين كى يزينوا بتوقيعاتهم المباركة شهادات (بالحق أو بغير الحق) تقول أن معاملات ذلك البنك العملاق مطابقة تماما للشريعة الإسلامية. ذلك عمل بسيط على فضيلته لايكلفه شيئا سوى آخرته فقط. ولكن البنك يجذب إستثمارات بالمليارات من متخمين من بنى جلدتنا مصرين على التدليس حتى فى شهادات الحساب يوم القيامة. متصورين أن ما يخدع الناس هنا يمكن أن يخدع الخالق هناك. أوكأنهم على يقين من أن توقيع فضيلة "الشيخ البنكى" معتمد وله حظوة فى الآخرة كما هو لدى إدارة البنك الدولى متعدد الجنسيات.
ثم يخرج علينا علماء المليارات هؤلاء كى يحذرونا نحن المساكين من شرك القبور!!!.. ومن خطورة إنتشار المذهب الشيعى !!!...

وكأنه لاشرك فى بنوك يهودية توظفهم وتسحب بهم أموال مترفى المسلمين الحريصين على الآخرة حرصهم على الدنيا.
وكأن لا خطورة فى شرك الشركات متعددة الجنسيات التى توظف رؤساءنا وأولى الأمر منا وتبتلع جزء من ثروتنا فى كل ثانية وتبتلع حياتنا وحياة أجيالنا.. أين ذلك من الوحش الشيعى الذى قضى إلى جانبنا أربعة عشر قرنا ولم يستطع إلى الآن أن يقضى علينا كما لم نتمكن من التخلص منه. بل عشنا أكثر الوقت جيرانا عاديين، أحسن قليلا أو أسوأ قليلا. لكن بقينا ولن يذهب أحدنا إلى نهايته وحيدا.

....
....

فكيف نفهم التوحيد والشرك فى هذا الزمان؟؟... ولماذا يظل حبيسا فى القبور ويستدعى قتل الصوفية .. واستئصال الشيعة؟؟.
أم أن التوحيد يستدعى فهما آخر .. وعملا آخر لتحقيقة على أرض واقعنا الحالى؟؟.
وأن هناك أصناما جديدة ينبغى تحطيمها.. وشياطين جديدة ينبغى رجمها.. ومعارك وسرايا وغزوات ينبغى خوضها بالتوكل على الله أولا وقبل كل شيئ.. ثم بذل كافة الجهد ... الجهد المعنوى والنفسى والعلمى والبدنى.
ورغم كل هول الأعداء فما زال شعارنا على بساطته وقوته: الله أكبر.

فصل 5:

الملا محمد عمر... وإيران:
الدبلوماسية الشعبية وفن السير فى طريق مغلق

موقف الأفغان من الشيعة وإيران إختلف ـ فى معظم الحالات ـ عن موقف ضيوفهم العرب. وذلك منذ بدء توافد المجاهدين العرب إلى الجهاد، مع غلبة الطابع السلفى عليهم، وإلى قيام "الإمارة الإسلامية" على يد الملا الشاب "محمد عمر".
حاول الأفغان مجاملة ضيوفهم العرب أحيانا ولكن إلى مدى محدود، سرعان ما كان يحدث بعده التباين.
وقت الجهاد ضد السوفييت،الضغوط السعودية والتلويح بالدولارات غيرت كثيرا فى مواقف "الأحزاب الجهادية" فى بيشاور. وأحدثت أحيانا تأثيرات مؤسفة.. مثل:
ـ فى مجلس الشورى القيادى " لحزب إسلامى" يونس خالص كان من أبرز أعضائه الطبيب صيدلى يدعى "محمد حيدر" وهو شيعي من الشمال. ما أن بدأ التوافد السعودى على بيشاور حتى فقد حيدر موقعة فى الحزب وغادر مهاجرا إلى خارج المنطقة..

ـ مولوى "جميل الرحمن" كان من علماء الأحناف فى محافظة كونار ومن العمالقة الأوائل الذين فجروا الجهاد. وكان من زملاء يونس خالص. وما أن شكل سياف حزبه حتى إنضم إليه. وربطته علاقات مميزة مع السعوديين الرسميين فى ساحة بيشاور، فتحول إلى السلفية وسرعان ما إمتلك تنظيما خاصا وحظى بتمويل سعودى كثيف. وعمل ضمن مكاتبه فى بيشاور عدد من رجال الإستخبارات السعودية المعروفين، وكان لهم نشاطات كبيرة داخل منظمة جميل الرحمن التى صارت مجرد غطاء أفغانى لهم. وامتلكوا من الباطن سجون للتحقيق والتعذيب وخطف المناوئين من جنسيات عربية مختلفة.
ـ القائد الميدانى(الكومندان) عبد السميع،أحد قيادات سياف فى منطقة (جاجى) ، تعرف عليه أسامة بن لادن منذ وصوله لأول مرة إلى منطقة جاجى فى أواخر عام 1986 . وكذلك تعرف عليه باقى العرب الذين تجمعوا حول بن لادن لبناء موقع "المأسدة" وكان لعبد السميع مجهود كبير جدا فى ذلك التأسيس.
ولكن بعد أن تزايد عدد العرب فى المنطقة وأكتمال بناء المأسدة، تيقظت الروح السلفية ،طالب العرب بإبعاد عبد السميع عن المأسدة، ثم عن جاجى كلها، وذلك لدواعى عقائدية بحته.
ـ الأموال السعودية أيضا عملت بقوة على تهميش دور الأحزاب الشيعية فى حكومتين مؤقتتين قبل رحيل السوفييت. وكان التدخل أشد عند تشكيل الحكومة الثانية برئاسة صبغة الله مجددى فى فبراير 1989 . ساهم ذلك فى زيادة حدة الإستقطاب السياسى فى المقاومة الأفغانية. فلا تجد الأحزاب الشيعية سندا سوى فى إيران، بينما تبقى أحزاب بيشاور السبعة مرتمية رهن المشيئة الباكستانية والسعودية. وهذا يبقى أبواب الإقتتال الداخلى مفتوحا إما لأسباب طائفية أو عرقية أو سياسية. هكذا كانت ترغب أمريكا حتى تمنع وقوف أفغانستان على قدميها مرة أخرى تمهيدا لإبتلاعها فى نهاية المطاف، بل وابتلاع المنطة كلها عندما تسنح الفرصة.

صناعة الفتنة فى باكستان وأفغانستان شاركت فيها بوعى "سلفية القصور" أو مايمكن تسميته "بالسلفية الملكية". كان البرنامج واضحا لديهم تماما، ومرسوم بشكل دقيق وليس جزافيا بأى حال. وفى حقبة الحرب السوفيتية على أفغانستان، والتى رافقت الحرب العراقية على إيران. حقق سلفيو القصر الملكى إنجازا كبيرا فى مجال الفتنة داخل باكستان مازال يؤتى ثماره الدامية حتى الآن. ولولا هذا النجاح والمجهود الكبير الذى بذلوه فى الثمانينات من القرن الماضى لما إستطاعت أمريكا أن تسيطر على باكستان حاليا بشكل شبه مطلق، فتشن حرب إبادة على قبائل وزيرستان وعلى الشعب الأفغانى فى وقت واحد.
فى عام 1986 أسست السفارة السعودية فى إسلام آباد تنظيما أسمته "سيباه صحابة" أى "جند الصحابة"، مهمته بالكامل توجيه الضربات العسكرية للشيعة وشن حرب تشنيعات عاصفة وجيدة الإعداد والتمويل من جانب أجهزة الأمن السعودية.

كان نشاط الفتنة السعودى يشمل إقامة الندوات والمؤتمرات وطباعة الكتب الهجومية والتشنيعية. وصناعة رموز ونجوم لحركة الفتنة وإكسابهم الشهرة والبهرجة النجومية.
وكان أبرزهم وقتها شخص يدعى "إحسان إلهى ظهير" جهزوا وطبعوا له سلسلة كبيرة من الكتب العدوانية ضد الشيعة وزعوها بكميات ضخمة وبعدة لغات منها العربية والفارسية إلى جانب الأوردية. رافق ذلك سلسلة إغتيال لقيادات شيعية وسقوط قتلى فى أحتفالات دينية (وكأنها كانت تجربة لما يحدث بعضه الآن فى العراق). فى الأخير أنفجرت قنبلة كانت مثبتة فى "مزهرية" كانت أمام "ظهير" وهو يخطب فى أحد المؤتمرات... وسيف الفتنة يذبح دوما من الجهتين.
صناعة الفتنة فى أفغانستان كان الهدف منها حرف مسيرة الجهاد صوب الفتنة الطائفية بدلا عن قتال النظام الشيوعى الحاكم، الذى كانت أمريكا قد قررت أن تجعله جزءا من الوضع السياسى القادم، إستبعادا لفكرة خطيرة هى إقامة حكم إسلامى تسعى إليه قوى جهادية أفغانية ذات دعم شعبى له قيمته الكبيرة.

أقتحم المجاهدون كابول وأسقطوا بالقوة النظام الشيوعى هناك فى 27 إبريل 1992. فأرسل لهم وزير الإستخبارات السعودى تركى الفيصل حكومته التى شكلها فى بيشاور بمساعدة عبد الرسول سياف ومشاورة الباكستانيين. وكلفه ذلك 150 مليون دولار رشاوى لسياف وصبغة الله مجددى وبعض الآخرين الأقل شأنا.
ما أن دخلت حكومة تركى لفيصل إلى كابول، حتى رأينا حزب وحدت الشيعى يدخل إلى كابول هو الآخر مكشرا عن أنيابة (وكانت محدودة جدا وقت الجهاد). وبسرعة وكما يفعل الجميع وقتها عقد تحالفات ونقضها ودخل حروبا طاحنة خرج منها بعقد سلام مؤقت إلى حين وصول ذخائر جديدة ورجال جدد . هذه المرة لم يكن الذى تغير هو حزب وحدت، بل الذى تغير كانت القيادة التى تدير الدولة فى طهران بعد وفاة الإمام الخمينى. وسمعنا لأول مرة عن قيادة "براجماتية" يديرها رجل الدولة الأوحد/ كما كنا نظن على الأقل/ الشيخ هاشمى رافسنجانى.
هل تصرفت طهران تحت إستفزاز ما فعلته السعودية فى كابول، ومن قبل ذلك فى بيشاور؟؟. أم أنها فعلت ما فعلت إستكمالا للدور السعودى وبإتفاق مشترك على مجهود متوازن؟؟. لايمكن القطع هنا بشئ لأن كل إحتمال له شواهد تؤيده.
وسوف تواجهنا نفس الحيرة إذا ما تفحصنا ما يحدث حاليا (عام 2009) فى العراق أو لبنان.

فى مرحلة صناعة الفتنة حول كابول (منذ إبريل 1992) شارك فيها عرب "السلفية الجهادية" بدون بصيرة ، كما هى العادة، وكانت الحرب فى جوهرها تدور على حصص تقاسم السلطة وإقتسام ثروات الدولة.. وأيضا العمل لحساب دول خارجية فى مقابل أموال لحجز مواقع النفوذ ونصيب فى الثروات.
إنصرف من الأفغان مجاهدون كثيرون عندما إكتشفوا أبعاد الخدعة وكانوا قد فقدوا منذ زمن الثقة بقادة الأحزاب "الجهادية". لكن المجاهدون العرب فسروا ما فعله

إخوانهم الأفغان على أنه نكوص عن الجهاد بعد أن أوشكت الثمرة أن تقع فى يد المجاهدين. ثم أفتوا بأن الذين تركوا الساحة الآن من عرب أو أفغان "آثمون".
رابض هؤلاء العرب حول كابول وشاركوا بكل قواهم ـ أو ما تبقى منها ـ فى قتال ضد الفئات الأخرى، وعلى أساس عقائدى بحت. أكثرهم تحت راية الزعيم الأصولى "حكمتيار" والبعض تحت راية الأصولى الآخر "سياف".
فى رأى هؤلاء العرب أنهم يقاتلون ضد قوات دوستم لأنه شيوعى وضد قوات مسعود وربانى(رئيس الدولة) لأنهم مرتدون، وضد الشيعة لأنهم كفار.
وهكذا دارت المعارك وشارك عرب "السلفية الجهادية" كأعضاء ناشطين فى "مصنع الفتنة" حول كابول. وفقدوا هناك أفضل عناصرهم وفى مقدمتهم الشاب الرائع "أبو معاذ الخوستى" بطل معارك فتح خوست عام 1991.
مالبثت خريطة التحالفات الأفغانية حول كابول أن تبدلت عدة مرات. ورأى عرب "السلفية الجهادية" قادتهم الموثوقين "حكمتيار" ثم "سياف" كل منهم يتحالف مع عبد الرشيد دوستم مرة ثم مع حزب "وحدت" الشيعى مرة أخرى ومع كليهما معا مرة ثالثة. النتيجة أن أصيب العرب بالإحباط وغادروا الساحة الأفغانية كلها، ولكن بعد أن دفعوا دماء أفضل إخوانهم إستثمارا فى مصنع "الفتنة" حول كابول.
إنتفخت جيوب اللاعبين الأكبر بالأموال المغموسة بدماء الشهداء من السذج الذين إنجذبوا بحماس لمجزرة الفتنة التى تم تجهيزها وهندستها لتكون وسيلة فعالة لتغيير الواقع السياسى والإجتماعى للدول. وبحيث تدخل الشركات متعددة الجنسية كى تنزح الثروات وتقيم الحكومات والبرلمانات وتجرى الإنتخابات "الحرة النزيهة" وتنشئ أجهزة الأمن والجيوش التى تدافع عن الشرعية والديموقراطية، وتحمى الشعوب من أن تستيقظ أو تطالب بشيئ من حقوقها.
جاء معنا إلى أفغانستان مفهومان خطيران لا ندرى من فرضهما على تلك الساحة، وما زالا يعملان وكأنهما أصبحا من الفرائض الدينية.
الأول هو إصطلاح "الجهاد الأفغانى". وحسب علمى أنها المرة الأولى فى تاريخ المسلمين التى ينسب فيها الجهاد إلى شعب معين. بينما فى السابق كان ينسب الشعب أو القومية إلى الإسلام والجهاد معا (مثل: جهاد المسلمين فى..... القوقاز .. السودان .. ليبيا .. المغرب .. إلخ). إذن هذا المطلح وضعنا لأول مرة أمام "جهاد شعوبى".
الثانى كان إصطلاح "السلفية الجهادية". وهى مقولة أوجدت نوعا من "الجهاد الطائفى" وذلك للمرة الأولى ـ حسب علمى أيضا ـ حيث أن الجهاد فريضة عامة يؤديها جميع المسلمين على إختلاف مذاهبهم. فهى عبادة أمة كما هو الحج الذى ينفر له الناس جميعا . ولم نسمع يوما عن جهاد مذهبى آخر كالجهاد المالكى أو الشافعى مثلا.
الجهاد الطائفى أوجد فى أفغانستان أزمة طائفية بدأت مبكرا بين الأفغان والعرب. كان هناك من يسرع إلى تطويقها من العقلاء، رغم أنها أحيانا كادت تتطور إلى إشتباك مسلح. وكانت الأزمة تبدأ عادة من الشباب العرب وإتهامهم للأفغان بالشرك، هذا بينما كان الأفغان يقاتلون أشد قوى الكفر فى عصرهم. مقدمين فى ذلك أفدح التضحيات وتحملوا أشد الأهوال. ولم تلبث أن جاءت حرب الخليج الثانية فى

عام1991، التى كشفت ضمن ما كشفت هول الفرق ين ما قدمه الأفغان "المشركون" دفاعا عن أرضهم وبين ما قدمة "الموحدون" الذين فتحوا أبواب الديار المقدسة أمام "جيوش الصليب". فكانت طاعة "القصر الملكى" مقدمة عندهم على طاعة الله. فهل ذلك هو مفهوم التوحيد لديهم ؟؟. أم أنه " شرك القصور" الذى تكلم عنه الدكتور عبد الله عزام عندما كان يحاور من مزقوا وحدة الأمة بإفتراءات
" شرك القبور" ؟؟.

إيران "البرجماتية" فى المعمعة الأفغانية:

إيران من جهتها، وتحديدا بعد وفاة الأمام الخمينى، تحولت سياستها من " العقائدية" إلى "البرجماتية". ولثمان سنوات من حكم رفسنجانى رجل الثورة القوى، وقت الثورة، ثم رجل الدولة الأقوى فى مرحلة الدولة، لم تعد العقيدة الثورية هى معيار السياسة.
شاهدنا الفرق فورا فى أفغانستان بواسطة حزب "وحدت" الشيعى، والذى تحول إلى موقف هجومى على الساحة الأفغانية، بعد أن كان فى موقفه خافتا للغاية سياسيا وعسكريا طول فترة الجهاد ضد السوفييت، لا لشيئ إلا لكون مناطق تمركز الشيعة وسط البلاد لم تكن تحظى بقيمة تذكر فى إستراتيجية الحرب بالنسبة للسوفييت أو الشيوعيين. وهذا لايعنى أنها لم تشهد معارك على الإطلاق. بل أننا شاهدنا آثار معارك قوية أثناء عبورنا لمناطقهم عندما أغلق مسعود ممر سالانج فى وجه طالبان وحركة المسافرين القادمين من جنوب البلاد. ومناطقهم بشكل عام مناسبة جدا لحروب العصابات ومعظمها لايناسب حركة الجيوش الحديثة.
وكانت الطامة الكبرى،أو بدايتها على الأقل، فى إبريل 1992 عندما وصلت حكومة " تركى الفيصل" الجهادية إلى كابول، فاندفعت إلى أحياء الشيعة على طرف العاصمة قوات كثيفة وجيدة التسليح من "حزب وحدت". لتصبح طرفا أساسيا فى "كيمياء الفتنة" حول كابول، بالمشاركة مع باقى الأطراف من الأحزاب الجهادية وعرب وميليشيات عبد الرشيد دوستم الشهيرة "جلم جم".
كالعادة فى مثل تلك الظروف تتغير التحالفات دوريا وبإستمرر. فتحول الشيعة من عنصر محايد ومقبول بشكل عام، إلى خصم للجميع ومطلوب للثأر من الجميع. وكان حزب وحدت هو الوحيد الذى ينظر إليه بصفته الطائفية. وكانت تلك كارثة أخرى على الطائفة. لأن كل الأحزاب تذهب بينما "المذهب" باق، فيرث أصحابه عداوات صنعها الحزب ولم يكن هناك شأن للمذهب بها. وكما هى شأن الفتن دوما، تكثر الدعاوى ويختلط الحق بالباطل حتى يصعب تكذيب كل شيئ، صعوبة تصديق كل ما يقال.
تحالف حزب "وحدت" وقتها مع الجميع تقريبا، وحارب ضدهم فى وقت من الأوقات. حتى أنه تحالف مع حركة طالبان عندما بدأت الزحف على كابول ومحاصرتها. كان هدف الحزب أن تحميه قوات حركة طالبان من هجمات الحليف

السابق أحمد شاه مسعود الذى إنقلب عليهم وقصف أحياءهم براجمات الصواريخ الثقيلة. وأصدر مسعود شخصيا فتوى تبيح سبى نسائهم (!!) وهى فتوى لم يجرؤ عليها أحد غيره من الأفغان(لاحظ أن مسعود ظل أقرب الحلفاء إلى إيران وإلى حين إغتياله قبل يومين من أحداث سبتمبر 2001).

عندما دخلت حركة طالبان منطقة (كارت سيه)الشيعية فى غرب كابول لحمايتهم من مسعود ، أصرت طبقا لسياستها الثابتة فى المناطق الى تدخلها، على نزع الأسلحة الثقيلة من يد الآخرين. وقد تم لها ذلك، ولكنها أخذت على حين غرة وداهمها مسعود بهجوم كاسح على " كارت سيه" بينما كانت مباحثات السلام دائرة وحكومة كابول تمنيهم بوقف القتال وتسليم العاصمة لهم. وجد الشيعة أنفسهم وجها لوجه مع عدوهم اللدود "مسعود" بينما هم منزوعى السلاح، وقوات طالبان تفر مذعورة لاتلوى على شيئ. فاستشاطوا غضبا وأطلقوا النار على ظهور الفارين من قوات طالبان. الذين إعتبروا ذلك " خيانة " ـ فتأججت نيران الفتنة التى هى متأججة أصلا.

يبدوا أنه من قواعد الفتنة أن الراعى الخارجى يضرب الأطراف الصغيرة التابعة له بعضها ببعض حتى يضمن بقاء ضعفها وإحتياجها الدائم له.

رجل الدين والزعيم الشيعى القوى وزعيم حزب وحدت، والمقرب أيضا من إيران،(عبد العلى مزارى) كان قد فر من "كارت سيه" خوفا من بطش مسعود. وكان مختفيا عن أنظار طالبان حيث تحول التحالف معهم إلى عداء.

ولسؤ حظه عثرت علية إحدى دوريات طالبان وهو ينتقل سرا فى سيارة أجرة.

الملا عمر فى قندهار علم بالأمر فأمر بإحضار مزارى إليه فى قندهار.

وكان ذلك إجراء عاديا حيث كان الملا عمر لايغادر قندهار إلا قليلا وفى سرية تامة. وفى أحد المرات إستدعى أسامة بن لادن من جلال آباد إلى قندهار وذلك لمجرد المناقشة. كنت معاصرا لتلك الصدمة . فالوجوه الصارمة المتجهمة التى جاءت من قندهار للإستدعاء جعلتنا نتوقع أنه إستدعاء لتنفيذ حكم بالإعدام. وقد رافقت أبو عبدالله فى تلك الرحلة. وقبل الرحيل أوصى بن لادن أن يخلفه أبو حفص فى إدارة كل شيئ يخص العرب إذا ما وقع المحظور فى قندهار. وعلى عكس ما توقعنا مرت الأمور على خير وجه. ولكن ظللنا نتندر بالحادثة ضاحكين كلما تذكرناها.

وربما أن "عبد العلى مزارى" فكر بنفس الطريقة التى فكرنا بها، وظن أن الإستدعاء إلى قندهار سيكون هو القاضية فتصرف داخل الطائرة بطريقة عنيفة أدت إلى مقتل بعض الأفراد ثم سقوط الطائرة ومصرعه شخصيا على يد داورية لطالبان كانت فى المنطقة.

كانت النهاية مأساوية. وما أعقبها كان أسوأ. وربما قررت طهران من وقتها المسير فى طريق اللاعودة مع نظام طالبان.

ولكن ما حدث لم يكن كافيا لإقناع الشعب الإيرانى بتحويل مشاعر العداء من أمريكا إلى طالبان. بل وأن تنقلب الآية تماما ويتحول الأمريكان إلى حليف فى معركة قتالية ضد جار مسلم مهما كانت الأسباب.

لذا كانت مجزرة الديلوماسيين الإيرانين فى مزار شريف هى(بيرل هاربور) المطلوبة لإحداث تغيير جذرى فى مسار السياسة الإيرانية. لإقناع الشعب الإيرانى

أن هناك شيطانا أكبر آخر حقيقى هو طالبان. وأن وصف أمريكا بالشيطان الأكبر إنما هو من بقايا الطفولة الثورية لحقبة الإمام الخمينى ومن على شاكلته من (طالبان) إيران.
مهدت المرحلة البرجماتية التى قادها رفسنجانى، لمرحلة أكثر إندفاعا قادها من موقع رئاسة الجمهورية تلميذه النجيب " محمد خاتمى". الذى إنتقل إلى مرحلة من الليبرالية التى كانت إلى حد كبير (ثورة داخل الثورة)، وتغير بالفعل وجه إيران الداخلى والخارجى. وتبنى العهد الجديد إنفتاحا ثقافيا ضخما فكك الكثير من مظاهر الإلتزام الإجتماعى بالإسلام خاصة فى العاصمة التى أضحت عاصمة مستباحة لطبقة من كبار الأثرياء الذين قدموا من المنافى ليتمتعوا بثمار الثورة التى ضحى لأجلها المعدمين والفقراء. قطاع هام من الثوريين القدماء إنجذبوا إلى مباهج الحياة والثروة التى تتيحها السلطة.
وفى شوارع طهران شاع نوع جديد من الإسلام (أزرق العينين أصفر الشعر) على حد قول شخصية دينية "جيلاتينية" القوام تفتقر إلى المواد الصمغية فى مفاصلها.
أما فى الخارج فقد صار الغرب هو القبلة السياسية ـ على حرص فى عدم إستثارة "تلامذة الإمام" الذين ما زالوا أقوياء رغم التهميش المستمر والإزاحة الدائمة.

حدثت مجزرة مزار شريف بأيدى أشخاص مجهولى الأعيان معلومى التوجه. وكادت أن تنشب الحرب وأن يدخل الجيش الإيرانى إلى أفغانستان بتشجيع من الغرب، لولا أن مرشد الثورة تمكن من شد المكابح ـ رغم الحصار المضروب حوله ـ حصار يمنع غير المرغوب فيهم من الوصول إليه ، خشية أن يتمكنوا من تسريب معلومات خارج السياق المطلوب. (وقد إدعى خاتمى أمام العدسات البريطانية أنه هو الذى أوقف الحرب. ولكن الحقيقة هى أنه لم يستطع إشعالها وتوريط بلاده فى المستنقع الأفغانى الذى تغرق فيه حليفته أمريكا الآن).

الصراع المرير الذى شهدته الإنتخابات الرئاسية الأخيرة، وما زال فى جانبه الأساسى دائرا بعيدا عن الأضواء، كان صراعا قديما تفجر عندما إقترب من نقطة الحسم. وكان منصب الرئاسة هو الموضع الأكثر مناسبة لتوجيه الضربة القاضية للطرف الآخر. والطرف الخاسر فى الإنتخابات لايريد إعطاء الطرف الفائز فرصة توجيه الضربة بهدوء، بل يحاول إرباكه وكسب الوقت عسى أن (يحدث شيئ ما) يغير الموازين جذريا. شيئ مثل إنقلاب عسكرى من الداخل ـ وهذا مستبعد ـ أو ضربة عسكرية قادمة من الأصدقاء فى الخارج ـ أمريكا أو إسرائيل أو كلاهما معا- وهذا أكثر خطورة ولن يتم لمجرد خاطر "الإصلاحيين" فقط . بل إنه، إن حدث، فسيكون خيارا إنتحاريا بكل معنى الكلمة. ولا أحد فى هذا الزمان ينتحر من أجل أحد آخر حتى وإن كان عاشقا متيما، فزمن العشق قد ولى خاصة العشق السياسى.
والقضية فى إيران الآن هى حول مصير الدولة الإيرانية، هل تعود للثوار الإسلاميين الفقراء المستضعفين الذين دفعوا الكثير من الدماء لأجل إنجاح الثورة ودفاعا عن

النظام والدولة ؟؟. أم تبقى الدولة على وضعها الراهن، فى قبضة قلة من الأذكياء من السادة اللصوص، المرتبطين بالإمبريالية البنكية الدولية ؟؟.

محاولة إغتيال الملا محمد عمر: باكستانية .. أم إيرانية ؟؟.

بعد حادث مقتل "عبد العلى مزارى" تزايد الدعم الإيرانى المقدم لحركة المقاومة المسلحة ضد طالبان والتى كان يقودها "أحمد شاه مسعود".
وبعد حادث" مزار شريف " بعام واحد تقريبا أى فى الذكرى السنوية الأولى جرت محاولة إغتيال الملا محمد عمر بتفجير شاحنة مفخخة فى مقابل مقر إقامته فى أحد شوارع قندهار الرئيسية .
ونتيجة لتوافق الحادث مع الذكرى الأليمة إستنتج البعض أن محاولة الإغتيال كانت من تدبير إيران . عدد من كبار مساعدى الملا عمر تبنوا هذا الرأى ، كما تبناه من " القاعدة" أبو حفص المصرى مساعد بن لادن ونائبة الأول .
وكنت معارضا لذلك الرأى حيث أن بصمات باكستانية كانت واضحة فى الحادث. ومدير إستخبارات "قندهار" والذى عزله الملا عمر بعد الحادث كانت له بصمات تواطؤ على أقل تقدير . وهروب أصحاب الشاحنة المفخخة فى إتجاه القنصلية الباكستانية ، ثم دلائل على توجههم بسيارة معدة لهم صوب الصحراء ، ومشاهدة البعض لطائرة هيلوكبتر جاءت من باكستان وحطت فى الصحراء ثم أقفلت عائدة إلى باكستان مرة أخرى .
كل ذلك وغيره جعلنى أتبنى وجهة نظر تقول ان الحادث من تدبير باكستان وبطلب من أمريكى أو حتى مشاركة فى التخطيط والمتابعة .. وهذا أيضا ظهرت له دلائل.

- الآن .. وبأثر رجعى .. وبعد البرنامج الأمريكى لضرب أفغانستان فى عام 2001 وإسقاط حكم طالبان بذلك البرنامج الذى جمع مع أمريكا كل من باكستان وإيران ضمن 50 دولة أخرى ، لا يبدو هناك مانعا أن يكون الحادث مجهودا مشتركا من عدة أطراف تحت إدارة أمريكية كما كانت عملية الغزو التى وقعت بعد ذلك بعامين وشهرين .
- وكذلك يمكن القول عن حادث إغتيال المعارض الإيرانى فى هيرات والذى تسبب فى وقف برنامج التعاون المشترك الأفغانى الإيرانى فى مجال دعم وقف زراعة المخدرات فى عام 2001 قبل قليل من أحداث سبتمبر .

بعثة دبلوماسية إلى إيران

- بدأت العملية الدبلوماسية بين الإمارة الإسلامية وإيران فى ربيع 1997 .

من المفارقات أن الفكرة بدأت فى قرية "عرب خيل" جنوب مطار قندهار .

فى أصيل أحد الأيام فوجئ سكان القرية بزيارة لأمير المؤمنين الملا محمد عمر .
وكانوا حوالى 50 أسرة ـ من جماعة القاعدة ، وأسرتين أو ثلاثة من جماعة الجهاد المصرية وأسرة واحدة بلا إنتماء حزبى هو أسرتى .

دخل الملا عمر إلى غرفة الضيافة ومعه حوالى عشرة من حراسه واستقبله أسامة بن لادن ومعه أبوحفص المصرى ثم تقاطر شباب القرية لمصافحة الرجل وأرادو الجلوس جميعا فى الغرفة الضيقة التى لم تتسع لهم جميعا . مضافا إليهم حراس الملا عمر. ثم إن بوابة السور الطينى المحيط بالقرية كادت أن تكون بلا حراسة . فطلب منه بن لادن وأبو حفص أن يكتفوا بالسلام على أمير المؤمنين ثم يتوجه كل منهم إلى وظيفته فى حراسة مشددة حول القرية والطرق المؤدية إليها .
وكانا محقين فى ذلك لأن قرية عرب خيل فى تلك اللحظة كان بها أهم شخصية فى أفغانستان وهو الملا عمر ، وأهم شخصية فى العالم وهو أسامة بن لادن .
كانت الحالة المعنوية للشباب وسرور سكان القرية لا يوصف .
بدأ الملا عمر حديثة بنبرته الهادئه المنخفضه . وكان حديثا وجدانيا عاطفيا حول الجهاد والهجرة فى سبيل الله . وقال : عندما كنا مهاجرين كنتم أنتم العرب أنصارا لنا والآن أنتم مهاجرون فى سبيل الله ونحن أنصار لكم . وأفغانستان وطنكم كما هى وطننا . فقد جاهدنا سويا لأخراج الروس منها ...
وهكذا أمضى حديثة بطريقة تركت تأثيرا كبيرا فى الجميع . وكان يتولى الترجمة مستشاره السياسى " الملا جليل " .
ثم انتقل الحديث إلى دول الجوار . وبدأ عن باكستان على إعتبار أن العلاقات مع إيران مسألة مفروغ منها فهى مصنفة بالكامل ضمن معسكر " أعداء الإمارة " تمدهم بالسلاح والمال والأطعمة والدعاية والدعم السياسى . كانت كابوسا حقيقيا للإمارة لذا تخطاها الملا عمر وقصر حديثه فقط عن باكستان .
ملخص الصورة التى أعطاها هى أن باكستان تتعامل معه من منطق التعالى والسيطرة وتمارس الضغط والتهديد فى تمرير ما تريد . أهم نقاط الضعف التى كان تستغلها باكستان هى كونها المنفذ الوحيد لأفغانستان على العالم الخارجى . فحدود الشمال إما أن الدول المجاورة أغلقتها إختيارا أو بإملاء خارجى. أو أن تحالف الشمال يسيطر عليها . وإيران فى الغرب تقف ضد الإمارة بصراحة ولا توجد علاقات حقيقية معها . إلا أنها تسمح بالحركة عبر منفذ " دوغارون " الحدودي ، ومنه يعمل التجار الأفغان فى إستيراد بضائع وسيارات شخصية تسير بالديزل وتأخذ طريقها إلى باكستان بشكل غير قانونى وكان ذلك مصدر شكوى لأنه يضيع الملايين من أموال الرشاوى التى يتلقاها موظفو الجمارك. وكان التجار الأفغان أيضا يستوردون عددا من المواد الغذائية ومصنوعات البلاستيك من إيران ، وقليل منها يبقى فى السوق المحلى الفقيرة وأكثرها تواصل سيرها نحو السوق الباكستانى ، حيث كانت موضع ترحيب شعبى لجودتها ورخص سعرها . وهذا أيضا أزعج الباكستانيين لأنه يفقدهم مورد من الضرائب .
السلطات الباكستانية كانت تضغط بمنع السلع الأساسية التى يعتمد عليها السوق الأفغانى مثل زيوت الطعام والديزل ووقود الطائرات . وكثيرا ماكانوا يغلقون المنافذ

الحدودية فى وجه جميع البضائع وحتى فى وجه جميع المسافرين ويسيئون معاملة الأفغان ويبالغون فى تفتيشهم لدرجة أدت أحيانا إلى اشباكات بين حرس الحدود على الجانبين سقط فيها قتلى . كما حدث عندما أصر جندى من الميليشيا الباكستانية على تفتيش أمرأة أفغانية فصرخت مستغيثة فأغاثها جندى من طالبان بقذيفة مضادة للدروع أطاحت بالجندى الباكستانى .
وكان البحث عن العرب والأسر العربية التى تعبر الحدود صوب أفغانستان سببا فى تلك المبالغة فى البحث والتفتيش وليس المخدرات مثلا . لأن للمخدرات وتحركها طقوس خاصة لا شأن لها بقوانين منافذ الحدود تلك .
وكانت هناك عناصر من إستخبارات أجنبية تراقب وتبحث عن فرائسها من العرب ، وكانوا من وقت إلى آخر يفوزون بغنيمة ترضيهم .
لهذا فتحت الحديث عن " الحدود الإيرانية " فى النقاش مع الملا عمر .
□ أردنا أن يبدأ أسامة بن لادن الحديث بصفته المعروفة وأهميته المطلقة . ولكنه أصر أن أبدأ بالكلام ، وكان ذلك تلطفا منه زائدا عن الحد ، وكان يصر دائما عليه بأخلاقة الرفيعة ، وبكونى الأكثر معناه من الشعر الأبيض الذى يثقل هامتى .
وكان ذلك يتوافق مع عادات الأفغان ويقدرونه كثيرا .
وهكذا بدأت فى الحديث متوجها مباشرة إلى الملا عمر. وكالعادة أيضا دخلت مباشرة فى صلب أكثر الموضوعات حساسية بالنسبة للجميع .. موضوع العلاقات مع إيران !!.
ـ فقلت للملا عمر أن أفغانستان دولة داخلية لاتطل على البحار، حيث تفصلنا باكستان عن المحيط الهندى، وتفصلنا إيران عن الخليج العربى.
لذا فمن الأفضل أن تكون لنا علاقات جيدة ومتوازنة مع كلتا الدولتين، حتى نضمن إتصالا مستمرا مع العالم الخارجى، وتبادل تجارى مزدهرة مع باقى الدول.
أما إذا كانت علاقتنا منحصرة بدولة واحدة كما هو الوضع الآن مع باكستان، فإن ذلك سوف يغرى تلك الدولة بممارسة الضغط علينا لإملاء شروطها. لكن العلاقات المتوازنة تجعل كل دولة منهما فى خشية من ممارسة الضغط علينا حتى لايؤدى ذلك إلى زيادة نفوذ الدولة الأخرى. كما أننا فى مسيس الحاجة إلى فتح الطرق عبر باكستان وإيران معا لأن الجمهوريات الإسلامية فى الشمال مازالت مغلقة فى وجوهنا منذ إنسحاب السوفييت منها.
كانت الفكرة معروضة بإيجاز وفى صلب الموضوع المحظور عادة على البحث.
أطرق الملا عمر صامتا للحظة ثم تنهد بألم قائلا: أنا يائس من إيران.
ثم واصل بعد برهة: كما أنه لا توجد وسيلة إتصال بيننا وبينهم.
واضح إذن أنه دخل فى تفاصيل العمل، ولا إعتراض لديه على أساس الفكرة. كما ظهر لى من تألمه أنه كان بالفعل يتمنى لو أن الأمور بينه وبين إيران سارت فى غير الطريق الذى تسير عليه الآن، لكن الطرف الآخر لا يستجيب لصوت العقل والمصلحة المتبادلة، على عكس ما كان هو يتوقع منهم.
ثم طلب الملا عمر عقد جلسة خاصة لايحضرها أحد من الحراس وتقتصر فقط على له شأن مباشر بالموضوع. وقد كان، فكانت جلسة لم يحضرها مع الملا عمر سوى

مساعده الملا جليل. ومن الجانب العربى غير أبوعبد الله وأبوحفص ، وكنت معهم لإكمال الموضوع الشائك.
إقترحت أن يكون (حزب النهضة) الطاجيكى هو قناة الإتصال كونه على علاقات جيدة جدا مع الطرفين بما يسمح له بأداء دور ما بينهما.
{{ الخلفية لذلك الإقتراح أنه كان لحزب النهضة مركزا رئيسيا فى كابول ومكتبا فرعيا فى هيرات يستقبل أفراده القادمين من إيران. وكانوا إلى وقت قريب يرسلون مجاهديهم للتدريب فى معسكر الفاروق فى خوست. وكانوا يحظون بتعاطف شعبى ورسمى كبير طوال فترة طالبان، كما فى عهد حكومة ربانى السابقة. وقيادات حزب النهضة كانت تقيم فى كابول قبل أن يدخلها طالبان ثم غادرتها مع حكومة ربانى نتيجة تأثرهم بوجهات نظر تلك الحكومة حول طالبان، وظنوا أنها حركة عنصرية بشتونية معادية للطاجيك. وبعد وقت قصير تبينوا الحقيقة ولكنهم فضلوا بقاء قياداتهم العليا فى طهران مع بقاء مكتب رئيسى فى كابول وآخر فى هيرات. وكان ذلك أنسب لهم فى ذلك الوقت، كون أفغانستان فى شبه حصار، وإيران تقوم بدور وساطة بين قيادات النهضة وحكومة طاجيكستان التى كانت هى الأخرى معادية لطالبان وحليفة لربانى ومسعود.
منذ عام 1993 كنت على علاقة طيبة مع أهم قيادات حزب النهضة خاصة قائده الأعلى السيد عبدالله نورى ونوابه. وجميعهم قيادات إسلامية ذكية ومثقفة منتمية لتيار الإخوان المسلمين. ذلك رغم خلاف جذرى معهم حول طريقة إدارتهم لعملهم الجهادى. ولكننى كنت أقدر تماما صعوبة الظروف المحيطة بقضيتهم إقليميا، خاصة فى أفغانستان، ودوليا خاصة بعد الهيمنة الأمريكية على شئون العالم وما بدا أنه إذعان دولى لذلك. وكنت أشرف على برنامج تدريب كوادرهم العسكرية فى معسكر الفاروق حتى عام 1995 حين توقف تماما عملهم العسكرى، وبدأت عودة مهاجريهم من شمال أفغانستان إلى موطنهم مرة أخرى (شبه مطرودين). وكان لمسعود وربانى وسياف دورا رئيسيا فى تلك النهاية المحبطة لآمال المسلمين فى الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى }}.
تقبلوا جميعا فكرة ذهابى إلى طهران لمقابلة السيد عبدالله نورى لأعرض عليه دور وساطة بين البلدين وفتح أبواب للحوار.
وسألنى الملا عمر عن موعد سفرى فأجبته أننى مستعد للتحرك من صباح الغد ولكننى لا أمتلك جوازسفر، فأوراقى كلها كانت مختفية فى ذلك الوقت.
فطلب من الملا جليل أن يستخرج لى جواز سفر غدا على أن أسافر بعد غد.
بعد مغادرة الملا عمر لقرية "عرب خيل" جلست مطولا مع أبوعبدالله وأبوحفص لمناقشة الأمر بشيئ من التفصيل ومن وجهة نظر العرب فى أفغانستان.
شرحت حاجة الإمارة وحاجة العرب فيها لمنفذ إلى العالم الخارجى عبر إيران حيث أن الحدود الباكستانية أصبحت مصيدة موت يسقط فيها إخواننا وعائلاتهم من وقت إلى آخر.
لم يمانع أبوعبدالله أن أبحث هذا الأمر "هناك" إن كان ذلك ممكنا.

رافقنى فى رحلتى إلى طهران أحد كوادر حزب النهضة، وكان يرعى شئون المتدربين فى الفاروق فى مرحلة عملنا فيها معا لسنوات. وكان على دراية بأوضاع أفغانستان وبأوضاع حزب النهضة. وكان متحمسا لإنجاح المهمة.
وهناك بذل "السيد نورى" جهده معنا. وهو يجيد العربية مثل باقى نوابه الكبار، و ذو طبيعة مسالمة وميل إلى الحلول الوسط. فقدمنا إلى عدد من أصدقائه فى طهران لم نعلم عنهم شيئا سوى هذه الصفة.
أعادوا على مسامعنا، بشيئ من العصبية التى لم تلبث أن خفت قليلا، مايكرره الإعلام عندهم بل فى معظم العالم وقتها عن حركة طالبان وبشاعتها وعمالتها لباكستان وأمريكا وعنفها مع النساء والأقليات وحقوق الإنسان.. وكيف أنه جئ بهم للإضرار بإيران وطعنها من الظهر بالتعاون مع شركات النفط الأمريكية.
إنبريت للدفاع الفصيح وبالتفصيل الممكن. وبعد عدة جلسات كانت النتيجة صفرا وظهر أن الوضع سيبقى على حاله.
وكان تقييمهم لعرب أفغانستان سيئا جدا ـ فما زالوا يتذكرون تفجير مرقد الإمام الرضا فى مشهد ـ وعلمت بالمصادفة أن عربا يعبرون خلسة الحدود إلى أفغانستان عبر وسطاء ومهربين من القبائل الحدودية، ولكن لا أحد فى إيران يرغب فى التعرض لهم، على الأقل فى الوقت الراهن.
إستنتجت / لنفسى طبعا/ أنهم يراقبون تحركا مريبا عابر للحدود بهدف إستقصاء الأهداف والأبعاد. وأن كلا الطرفين يتجاهل الآخر. طرف عربى يظن أنه مخفى مثل النعامة التى تدفن رأسها فى التراب. وطرف إيرانى يراقب بصبر ودقة.
قبل مغادرتنا طهران نجر أذيال الخيبة إستلمنا منهم إشارة تقول أن إتصالات مباشرة مع "طالبان" ربما تبدأ فى وقت ليس بالبعيد.
فهمت ـ لنفسى أيضا ـ أنهم يقولون لنا : تنحوا أنتم جانبا نحن نعرف الطريق إليهم عندما نقرر نحن ذلك.
فى قندهار نقلت ما حدث إلى "الملا جليل"، ثم إلى أبوعبدالله الذى أرسل لى فى صباح اليوم التالى رسالة مع أبو حفص تقول أن هذا الملف قد تم إغلاقه نهائيا (وبدون إبداء الإسباب).
كان قرار الإمارة الذى علمته فيما بعد هو مواصلة تلك الطريقة فى الإتصال كلما دعت الضرورة إلى ذلك. ومالبث أن أذيع عن لقاءات بين وفود جرت فى بلد ثالث، فى إطار مناسبات إقليمية.
إذن الإمارة مستمرة فى العمل الدبلوماسى لتذليل الصعاب على مجنبتها الغربية الخطيرة، و"القاعدة" أغلقت الملف إلى الأبد وبدون إبداء الأسباب.
{{ والخطأ هنا فيما أرى أنه لا القاعدة ولا أحد من العرب فكر فى أن يندمج فعليا فى "الإمارة الإسلامية"، وظل كل طرف يفكر ويتصرف بطريقة منفصلة على إعتبار أن تواجدنا كله فى أفغانستان ليس إلا مرحلة عابرة. وهذا ما تم فعلا ولكن على غير الطريقة التى كانوا يتوقعون.
كان العرب فى حالة حصار داخل افغانستان ، وكذلك الإمارة الإسلامية. وبدلا من أن نعتبر أن إفلات الإمارة من الحصار هو نجاة لنا، بحثنا لأنفسنا عن حل منفصل حتى

لو كان على حساب مصالح الإمارة. وتكرر ذلك فى مفاوضات القاعدة مع الجنرال محمود رجل الإستخبارات لدى برويز مشرف. وكان ماحدث فيها من إتفاقات شفوية لايتماشى، بل ويتعارض، مع ما ذهبت إليه الإمارة مع النظام الجديد فى باكستان }}.
أبديت عجبى لصديقى أبو حفص وكان برفقتنا أحد أصدقائنا القدماء، الذى شن حملة شعواء على إيران والشيعة مستخدما نفس النعوت والمصطلحات التى نسمعها اليوم من مصادر "السلفية الجهادية".
علمت فيما بعد، عن غير طريق صداقاتى المتينة فى القاعدة، الذين أبقوا الأمر مخفيا عنى وعن الإمارة، أنهم قد دشنوا بالفعل طريق لتهريب الأفراد عبر إيران متعاونين فى ذلك مع البلوش من أهل السنة الساكنين فى مناطق الحدود.
إستنتجت أنهم قد حققوا المراد بدون التورط فى (مخالفة شرعية).
إبتلعت دهشتى من تلك السذاجة فى تصور أن منطقة حدودية خطيرة تنشط فيها شتى أنواع العصابات والأجهزة السرية يمكن أن يختفى فيها أجانب لهم حركة تردد مستمرة.

النقطة الهامة هنا هى أن العرب إستخدموا نفس الإسلوب عند دخولهم إيران فى عام 2002 بعد فرار العائلات العربية من أفغانستان إلى باكستان.
فالملاحقات الأمنية كانت غاية فى العنف. ففروا إلى إيران عبر نفس القنوات القديمة، أى جماعات البلوش المعارضين للنظام فى إيران، وجماعات من المهربين. بهذه الطريقة دخلت عشرات العائلات، وانتشروا هنا وهناك، واشتروا أو إستأجروا البيوت والسيارات وأجهزة الهاتف النقال، وأقاموا جسور إتصال مع دول الخليج، وتحرك فوق تلك الجسور أفراد وأموال ورسائل, وبدأ إستخدام الإنترنت بلا دراية كافية أو حرص.
وما لبثت الإستخبارات الدولية (أمريكا وحلفاؤها) أن أخطرت إيران بأسماء عرب دخلوا أراضيها وتفاصيل عمليات الدخول التى كان من المفروض أنها سرية وتتم عبر مهربين وقنوات من الأصدقاء الموثوقين.
أخذت أجهزة الأمن الإيرانية ترصد وتراقب وتتعجب من تلك (الفوضى العملاقة) وذلك النشاط السرى الفضوح لكل العالم ماعدا القائمين عليه. وفى بعض الفترات وقد أذهلهم الأمر إقتربوا من العرب متسائلين عن الهدف والغاية من كل ذلك وبهذه الطريقة. وكيف يمكن مساعتهم على أن يساعدوا أنفسهم فى ظل ذلك المناخ الدولى العنيف؟؟. وكيف أن إيران ليست هى أفغانستان ولا حتى باكستان.
لكن الشباب إستخدموا معهم قاعدة (الإستعلاء الإيمانى) وتصرفوا كما لو أنهم قد فتحوا هذه البلاد عنوة وجاؤا إليها لجمع الجزية. وتحدث بعضهم بصوت نصف مرتفع: متى نبدأ العمليات الجهادية فى إيران؟؟.
هذا فى وقت كانت أكثر الأسر بلا مأوى بشرى مناسب، أو نفقات تكفى لحياة تشرد بلا أفق منظور.

وفى النهاية وقع ما كان يجب أن يقع فى مثل تلك الحالات. فبعد أن إستكمل رجال الأمن تحرياتهم وتابعوا جميع الخيوط، وجهوا الضربة القاصمة التى لم تكد تترك عربيا أفغانيا واحدا فى كل إيران.

......

......

إستمرت دبلوماسيتنا الشعبية لبعثتين أو ثلاثة تحت إشراف مباشر إما من الملا عمر أو نائبه الملا جليل. وتخلل ذلك مقابلات بين مسئولين من البلدين فى عدة مناسبات وأماكن مختلفة. وكان التقدم فى العلاقات محدودا للغاية ومع ذلك أفاد الإمارة فى مناسات محددة.

فمثلا.. عندما أصدر مجلس الأمن أحد قرارات العقوبات التى كانت تتوالى ضد أفغانستان، وكانت إيران قد أغلقت الحدود بسبب حادث مزار شريف، إرتفعت أسعار السلع الغذائية وخاصة الدقيق، وأوشكت كمياته أن تنفذ من كابول. وفجأة وبلا مقدمات أعلنت إيران عن فتح الحدود. وكانت النتيجة أن إنخفضت أسعار الدقيق على الفور. وشاهدت يومها بعض فقراء كابول خارجين من المخابز فرحين حاملين أرغفة الخبز إلى الأعلى وهم يصيحون : دقيق إيران .. دقيق إيران.

أسعدتنى فرحة الفقراء الجوعى، وأحزننى أن الأمور بين المسلمين لاتسير وفق دين أو منطق سليم.

الدبلوماسية الشعبية أسفرت عن وجود " لوبى" فى إيران يتفهم أوضاع أفغانستان بشكل أفضل، بل ويتعاطف مع حركة طالبان وكونها ضحية حملة تشويه ظالمة. كان لحزب النهضة دورا فى ذلك الإنجاز الذى وإن كان قليل النفع ولم يتمكن من وقف سيل الأحداث المؤسفة، ولكنه على أى حال أبقى الأمل موجودا فى مد الجسور وكبح الفتن.

معجزة الأفيون:

حدثت طفرة مفاجئة فى العلاقات بين "الإمارة الإسلامية" و "الجمهورية الإسلامية" فى صيف عام 2000 عندما أعلن الملا عمر قراره الشهير بوقف زراعة الأفيون فى البلاد. ذلك القرار الذى أدى إلى نشوب الحرب بعد ذلك بعام.

ومع ذلك فقد كانت تلك الطفرة أقل كثيرا مما ينبغى. فإيران كانت أكبر المتضررين من زراعة الأفيون فى أفغنستان. وكانت دائمة الشكوى من كونها مستهدفة من "صناعة" تهريب المخدرات التى أضرت بالمجتمع وكلفت مقاومتها الدولة الكثير من الأموال والأرواح.

كان التحرك الإيرانى إزاء القرار يتسم بالتشكك والبطء والتواضع. ومع ذلك فقد كانت المرة الأولى التى تشهد فيها قندهار وصول وفد إيرانى ـ مع وفود دولية وإعلامية ـ لمتابعة حملة عسكرية حقيقية لمداهمة أحد معاقل تصنيع الهيرويين قرب الحدود الباكستانية. وعندما تأكدت الوفود من جدية الإمارة أرسلت طهران مساعدات إلى هيئة مكافحة المخدرات فى قندهار.

كانت تربطنى صداقة قوية مع مولوى "عبدالحميد أخونزادة" مدير مكافحة المخدرات فى الإمارة. وكنت دائم الإتصال به لمتابعة الإنقلاب الذى أحدثه قرار منع زراعة الأفيون، سواء فى الدول المحيطة أو العالم الخارجى أو الأمم المتحدة. وكنت أحيانا أتابع بعض نشاطات صديقى على الطبيعة. وقد وضعة القرار فى بؤرة إهتمام يتخطى كثيرا حدود الإمارة. فكان على إتصال متكرر مع وفود إيرانية يأتون إليه أو يذهب إليهم فى لقاءات على الحدود.

كان ما يحدث ، فى أحد جوانبه، دعما للدبلوماسية الشعبية على جانبى الحدود، متأثرا بها ومؤثرا عليها. وعموما أحدث قرار الملا عمر هذا دفعة إيجابية للعلاقات بين البلدين خاصة إذا قيس ذلك بالماضى المظلم لهذه العلاقة.

إستمر ذلك التطور وكان مرشحا للمزيد من الإيجابية لولا حادث إغتيال معارض إيرانى سنى مقيم فى هيرات مما أدى إلى إضطراب أمنى فى المدينة وإحراق المساعدات الإيرانية التى كانت فى فناء القنصلية الإيرانية هناك.

كانت ضربة محكمة تحت الحزام أوقفت كل شيئ. وقبل أن يفيق أحد وقعت أحداث سبتمبر ثم حرب أكتوبر غير المجيدة، وسقطت "الإمارة الإسلامية".

كنت أرى وقتها أن الولايات المتحدة وباكستان كانتا أصحاب مصلحة فى ضربة "هيرات" بهدف وقف الدعم الإيرانى لوقف زراعة الأفيون فى أفغانستان.

وكانت الدولتان قد وجهتا ضربات للمحاصيل البديلة عن الأفيون والتى زرعها الناس فى مناطق الأفيون فتسببوا فى كوارث إنسانية وبشرية كبيرة لهم.

وبعد إعترافات السيد خاتمى المثيرة والجريئة للتلفزيون البريطانى وتكشف العديد من جوانب أحداث سبتمبر وتورط الحكومة الأمريكية فى تصنيعها على غرار ما فعلت فى بيرل هاربور فى الحرب العالمية الثانية وتطابق ذلك كله مع مجزرة القنصلية الإيرانية فى مزار شريف، أجد وبأثر رجعى، أن نفس التطابق فى أسلوب العمل وطريقة التفكير تنسحب أيضا على حادثة "هيرات". وأن حكومة السيد خاتمى كانت فى مزار شريف كما كانت فى هيرات تنفذ "تعاونا إستراتيجيا" مع الولايات المتحدة. والإختراق الحادث فى تحسين العلاقات وقتها كان يهدد برنامج التعاون والغاية منه. حيث أن الرأى العام فى إيران كان فى دهشة من هذا التحول فى أفغانستان والذى يناقض البث الإعلامى الحكومى العنيف والذى ظل يصور حركة طالبان على أنها حركة مذهبية معادية لإيران، وأن هدفها الأكبر هو زراعة وتهريب المخدرات لتخرب المجتمع الإيرانى.

وفجأة يرى الشعب الإيرانى الصورة تنقلب رأسا على عقب، وإذ بوفود إيرانية تتجه إلى قندهار ومساعدات تتدفق عبر الحدود إلى هيرات. كان تحسن صورة حركة طالبان فى داخل إيران تحولا خطيرا يجب منعة بسرعة حتى لا يتكشف المخطط كله قبل تنفيذ المهمة الكبرى. فجاءت ضربة هيرات، ومالبثت أن وصلت 11 سبتمبر وراءها فى مصادفة تاريخية محكمة رتبها المحافظون الجدد على أيدى محترفين من الطراز الأول. (1)

:::::::::

(1) {{ عن هذا الموضوع صدرت عدة كتب هامة نذكر منها هنا بشكل خاص كتابان:

& ألغاز 11سبتمبر ـ إيان هالشيل ـ مكتبة الشروق الدولية /القاهرة

الفصل السادس

الملا " قندهارى بن لادن" ... آخر أطفال الزنازين
دعوة لإقامة محميات طبيعية للعرب المنقرضين

نتكاثر بسرعة شأن الكائنات الضعيفة التى يسرع فيها الموت. هكذا هم الفقراء والمهددون فى وجودهم. وهكذا نحن "المستضعفون فى الأرض" من مشردى أفغانستان . وهكذا هم من سبقونا فى المحنة منذ أكثر من نصف قرن فى فلسطين. فمن سقط من أيديهم السلاح ،أو نزع من بين أيدهم عنوة أو بمكيدة، يقاتلون مستخدمين العنصر "الديموجرافى" تعبيرا عن التمسك بالبقاء وحفظ النوع .. وإستمرارية توارث "جينات" الصراع مع الظالمين.
عائلات القدماء على طريقنا هذا من عرب أفغانستان وصلوا الآن إلى حدود الجيل الثالث. أما المعمرين من أمثالى، وهم نادرون جدا، فقد وصلوا إلى الجيل الرابع. وهو الجيل الذى ظهر فى عائلتى فى ربيع هذا العام.
لم أكن أتوقع أن يجمعنى حفيد واحد مع أبوعبدالله (أسامة بن لادن) ـ رغم أن ذلك يشرفنى بالطبع ـ ولكنها إرادة الله، فماذا سيرث هذا الجيل البرئ عن أجداده الحافلين بالمواهب ؟؟.
أسماه أبوه "عبدالله" ولو كان الأمر بيدى لأسميته "الملا قندهارى" ، على إسم بطل قندهارى شارك معنا فى معركة فتح خوست واستشهد فيها. وكان يشبه الملا محمد عمر شكلا وخلقا. وعمل معه فى المعركة مجموعة كبيرة من طلاب العلم فى قندهار، يذكرونك بأبطال غزوة بدر.
رحم الله الشهيد (ملا قندهارى) وكان الله فى عون الطفل الجديد (ملا قندهارى بن لادن) .. أحدث إنتاج من أطفال الزنازين.

....
....

تجد الحيوانات المهددة بالإنقراض إهتماما دوليا للمحافظة عليها. فيوفرون لها مواطن معيشة مناسبة وآمنة بعيدا عن أيدى الصيادين. بل أنها تجد التدليل الزائد والطعام الوفير وإهتمام الإعلام وتزاحم الحسناوات.
يقولون أن أصناف الحيوان والنبات على سطح الأرض تتناقص بسرعة كبيرة.

وكذلك نحن عرب أفغانستان، نموت سريعا بفعل القنابل والرصاص فى بعض الأماكن المفتوحة. ونموت موتا بطيئا أشد إيلاما فى بؤس الأماكن المغلقة أو الأقفاص الفولاذية.
ولو كان هناك تفاضل بين أنواع الموت لكان الموت السريع الناجز أفضل وأسهل وأشرف.
وما بين ساحة القتال وأقفاص العبودية قد يتوفر للبعض حياة " العبد الآبق" الفار من "سيده الأمريكى". فيبحث عنه السيد ويبحث عنه صيادو الرؤوس الطامعون فى المكافئات.
لم ينتبه هؤلاء إلى أن العالم سيخسر كثيرا بإنقراضنا. فنحن بلاشك جنس نادر سيفتقده علماء "الأنثروبيولوجى" والباحثون فى أصل الأنواع.(1)
إنهاؤنا سيكون خسارة علمية كبيرة، وسيلعن العلم من فعلوها. فالأمانه العلمية تقتضى المحافظة علينا فى محمية طبيعية مثل جزيرة فى أواسط المحيط مثلا، حتى لا تتسرب منا فيروسات "الإرهاب الإسلامى" إلى باقى الأجناس المستأنسة فى المزرعة البشرية الوادعة. ثم لايشغلون بالهم علينا.. ولتهنأ الحسناوات بعيدا عنا. فسنقتات على الأسماك والسلاحف والزواحف. فقط فليمنعوا عنا بنادق الصيادين، وأسواط فنانى التعذيب.
لابد أن توجد محمية أخرى لإخواننا الفلسطينيين، وأن تتاح لهم نفس الحقوق.
فالمحمية الطبيعية فى غزة غير آمنة. واليهود لايطيقون رؤية "الكائن الفلسطينى".
وأيضا محمية "أبو مازن" فى الضفة هى الأخرى غير آمنة. فعساكر أبو مازن لا يطيقون وجود الخطر الكامن فى "الضفة الشريرة" التى تكدر صفو رئيسهم الأمريكى الجنرال "دايتون" وتخيف باقى جنرالات إسرائيل.
مطلوب محمية طبيعية (لعرب أفغانستان) وأخرى (لعرب فلسطين).
وعندما يأتى السياح إلى المحمية الطبيعية لعرب أفغانستان سيجدون على سورها الخارجى لافتة مكتوبة بالإنجليزية والعبرية تقول:

{{ إحترس .. لاتقدم طعاما لهذه الكائنات حتى لاتعرض نفسك للوقوع تحت طائلة قانون " تمويل الإرهاب" .. هذه المحمية لكائنات إرهابية منقرضة إمتدت حياتها ما بين الحرب الباردة إلى الحرب على الإرهاب .. لهذه الكائنات المنقرضة عادات ومعتقدات بدائية زائلة .. فهم يظنون أن الكعبة هى بيت الله وليس البيت الأبيض }}.

لافته أخرى مرفوعة على سور المحمية الفلسطينية الشائك والمكهرب تحذر:

{{ لاتقدم طعاما لتلك الكائنات المتوحشة لأن فى ذلك دعما للإرهاب.. فهى كائنات شاذة كانت تعترض على وسائل الإبادة الرحيمة والمجانية التى كان يقدمها لهم اليهود .. إنهم خطيرون جدا على البشرية لدرجة أنهم/ وياللعجب/ إعتقدوا بوجود الله ولم يعتقدوا فى وجود الهولوكوست }} .

:::::::::
:::::::::

هامش:

(1) سالنى مهموما صديق لى من جماعة الجهاد المصرية ونحن فى صحراء قندهار. وكان أبناؤنا وقتها لايتلقون أى نوع من التعليم. فتساءل بأسى:
ـ ماذا سيصبح هؤلاء الأولاد عندما يكبرون ؟؟ .
فقلت له : إذا إستمر الحال هكذا فسيصبحون حميرا وحشية.
فضحك قائلا: كيف ؟؟.
فقلت له : سيكونون حميرا لأنهم لم يتعلموا .. وحوشا لأنهم نشأوا فى تلك البرارى.
أولسنا بالفعل صنفا مثيرا لإهتمام الباحثين فى "أصل الأنواع" ؟؟.
....
....

السـائرون نـيـاما

{{ فى ستينات القرن الماضى وتحت هذا الإسم كتب الروائى المصرى العظيم "سعد مكاوى" قصة من أعماق الريف المصرى. واختار العصر المملوكى زمانا لقصته. وكان زمانا للجهل والتخلف والظلم الفاحش. وزاد الطين بله إنتشار الطاعون فى البلد فتراكمت المصائب كثيفة خانقة بعضها فوق بعض. والناس لاترى لنفسها مخرجا فكانوا يسيرون فى طرقات البؤس.. يسيرون لكن ... نياما!!!.
لكن ما صلة ذلك بنا فى أفغانستان؟ . كان العصر المملوكى معنا بكل جوانبه المظلمة (ما عدا يقظة السيوف). ولكن ماذا يجدى ذلك السيف إذا كان الناس منزوعى العقول؟.
والفقه الدينى السائد سحب العقل البشرى إلى غياهب الخلاف والتخلف، والعلماء باعوا دينهم لسلاطين المماليك يستخدمونه لقضاء مآربهم فى دنيا الجباية والسياسة.
جئنا نحن فى زماننا المتأخر هذا واستوردنا كل أوزار العصر المملوكى فى الفقه والخلاف والتكفير وإعمال السيف فى رقاب الموحدين بدعوى شبهات بالشرك تارة والكفر تارة أخرى وظننا أننا بذلك قد أصبحنا من "السلف الصالح" ـ كنا حقيقة نسير على خطى "السلف المملوكى"، وفقه العهد المظلم الذى أملته سيوف ونزوات سلاطين القوة والبأس والجباية.
كنا فى الحقيقة نراكم على أنفسنا ظلمات فوق ما حاق بنا من مظالم طغاة الداخل وأعداء الخارج. لم نشعل شمعة فى الظلام بل جلبنا الظلمات متمثلة فى الخلافات المملوكية بين الفرق والنحل والمذاهب واستخدمنا سلاح العصر المملوكى المتطور " للتكفير الشامل" الذى إستخدمه سلاطين الجور لإهدار دماء المنافسين واستحلال أمولهم وأعراضهم.
كنا فى أفغانستان على خطى "السلفية المملوكية" نسير بكل الحماس الأعمى .. نسير ولكن .. نياما }}.

الفصل السابع:

كيف تصنع 3 حروب فى 30 دقيقة ؟؟
رساله إلى أخى الشيخ سعيد فى أفغانستان

تحدث الأخ العزيز "الشيخ سعيد" مع قناة الجزيرة فى شهر يونية 2009 فى لقاء له مع الزميل المتميز أحمد زيدان، حديثا مشوقا. كان أجمل ما فيه أنه طمأننا على سلامتة. وقد كان الباكستانيون قد أذاعوا منذ أشهر نبأ عن إستشهادة. كما طمأننا على سلامة الإخوة الأعزاء أبوعبدالله وأيمن الظواهرى، نسأل الله لهم ولجميع المجاهدين السلامة والنصر.
وكما أعجبنى حديث "الشيخ سعيد" وهو الرجل الهادئ دمث الخلق، عجبت من سرعته فى إعلان الحروب على الهواء مباشرة. فلم تكد تمضى ثلاثون دقيقة حتى وجدته قد أعلن ثلاث حروب خطيرة. والحرب دائما شيئ خطير مهما كان وزن العدو المقابل، فماذا عن إعلان حرب على ذوى الأوزان الثقيلة؟.
وحروب تعلنها القاعدة هى بلا شك أمر عام وهام، يهم جميع المسلمين، لذا سمحت لنفسى أن أطرح وجهات نظرى حول تلك الحروب وحول نقاط أخرى وردت فى الحديث، وذلك بصفتى أحد أفراد هذه الأمة أولا ثم بصفتى صديقا قديما، ومازلت كذلك، ثانيا.

1 - حرب نووية على أمريكا

الحرب الأولى كانت حربا نووية ضد الولايات المتحدة ، فى حال تم سيطرة " طالبان باكستان" على حكم البلاد والحصول على الأسلحة النووية الباكستانية.
سأطرح هنا ثلاث أسئلة، وسأقترح لها من عندى ثلاث إجابات.

- ماهو موقف شعب باكستان من مشروع حرب نووية تشنها حكومة قادمة لبلاده (طالبان والقاعدة) ضد الولايات المتحدة ؟؟.

الإجابة بكل بساطة هى أن ذلك الشعب سيبذل كل طاقته لمنع مثل هذه الحكومة من الوصول إلى السلطة، لأنها تقدم مشروعا لدماره الشامل فى حرب نووية مع أكبر دوله لها أكبر ترسانة نووية فى العالم.

- ماهو موقف دول المنطقة والعالم من "حركة إسلامية" تريد الوصول إلى الحكم بمشروع حرب نووية بأسلحة موجودة بالفعل على أراضيها ؟؟.

الإجابة هى أن جميع الدول سوف تصطف فى برنامج واحد لمنع هذه القوة من الوصول إلى الحكم ، ولو إستدعى ذلك إرسال جيوشها إلى القتال ضدها على الأرض.

- ما هو موقف الولايات المتحدة من ذلك التهديد؟ .

لاشك أن ذلك التهديد يسعدهم ولا يخيفهم . فهو يعطيهم مساندة معنوية وسياسية هم فى مسيس الحاجة إليها. لقد فقدوا معظم مالديهم من مصداقية. وحروبهم على بلادنا

ظهرت حقيقتها كحروب عدوان للسيطرة على الموارد، تصادرها بالقوة وتصادر معها الحريات والأرواح. وفجأة تجئ هذه المساعدة (غير المتوقعة) وتظهرهم بل وتظهر دول العالم معهم فى موقف الدفاع عن النفس ضد قوى تريد تخريب وتدمير العالم. لابد إذن من أن ينضوى العالم كله فى الحرب الأمريكية على الإرهاب، التى تجلت مشروعيتها فى هذه التصريحات. فهل مثل هذه التصريحات تغضب أمريكا أو تخيفها ؟؟.

2 ـ حرب على إيران

الحرب الثانية كانت على إيران. والمبرر كان:
أنها دولة غير إسلامية، وأنها تحارب أهل السنة فى كل مكان ، وأنها دولة شقاق.
ثم أضاف صديقنا العزيز أنه سيضرب إيران فى الوقت المناسب.
وهنا نحتاج إلى إستفاضة أكبر لأن العداء للشيعة وإيرن أصبح برنامجا دوليا لتحويل إتجاه العداء فى المنطقة من إسرائيل وأمريكا إلى الشيعة وإيران. وذلك ليس سرا بل هو برنامج مطروح علنا وبكل وقاحة. فالمنطقة والمسلمون بشكل عام مطلوب منهم أن يأكل بعضهم بعضا تاركين لعدوهم مهمة أكل الجميع بدون مجهود يذكر. ذلك أن العدو قد إستفذ معظم طاقاته الذاتية ويريد توفير ما تبقى منها. إذن فلتمارس ضحاياه مهمة الإفتراس الذاتى لنفسها.
هذا البرنامج السهل الممتنع لايكلف العدو سوى بضع مئات من ملايين الدولارات، ينفقها على برامج التحريش والتحريض والوقيعة وتصنيع الفتن وشراء الذمم وإصطناع الحوادث وتضخيم وتهويل المشاكل والخلافات ، وإحياء كل ظلمات الماضى وبعثها من القبور وإعادة عرض التاريخ القريب منه والبعيد بمنظور إنتقائى يراعى شيئا واحدا: هو بعث الفتنة بين المسلمين.
هناك خلافات وإختلافات بين السنة والشيعة وبين إيران وجيرانها .. نعم هذا صحيح. ولكن هناك أيضا لقاء على أساسيات الدين ومصالح الدنيا أكثر بكثير جدا من كل خلاف.
ـ أخى العزيز .. إذا كنت تتوعد إيران بالحرب عندما تسنح لك الفرصة، فلماذا تظن أن على إيران الإنتظار حتى تستقر لك الأوضاع وتوجه إليها ضرباتك؟؟.
هذا التهديد يعطى حكومتها تغطية كافية داخليا وخارجيا كى تشن حربا إستباقية حتى تمنع حلفاءك/ حركة طالبان/ من الوصول إلى الحكم. وهو ما ترغب فيه أمريكا بشدة وتسعى إلى توريط إيران فيه منذ مجزرة مزار شريف (حادثة بيرل هاربور لعام 1998) . وإيران إن فعلت فربما أزيلت الكثير من العقبات الأمريكية بالنسبة لبرنامجها النووى. و الباقى يتعلق بموقفها من إسرائيل.
إذ لم يكن فى الإمكان تحسين موقف إيران من حركة طالبان فلا داعى لجعله أسوأ. فموقفها الآن محدود بالدعم المالى والسياسى لنظام كرزاى، وذلك سيئ جدا بالطبع، ولكنه مازال أفضل من إرسال قوات فى أطار دولى أو فى إطار إقليمى كما لمح الرئيس نجاد بشكل مبطن فى مناسبات عديدة.

فلماذا ندفع من جانبنا الأمور إلى الأسوأ بدلا من دفعها إلى الأحسن ؟؟.
- هذا التهديد بالحرب يبدو منسجما من عدة وجوه مع رؤية أمريكية للمنطقة فى حال إنسحاب قوات الإحتلال من أفغانستان. هذه الرؤية تفضل إغراق افغانستان والمنطقة فى حرب طائفية تأكل الأخضر واليابس من قدرات شعوبها، ولكن تبقى الباب مفتوحا لتواجد أمريكى طويل المدى وبأقل التكاليف، لأن شعوب المنطقة ستدفع كافة التكاليف وزيادة (ألم يكن ذلك هو ما حدث فى العراق بالفعل، وبأيدى أبناء العراق والقوى الصانعة للفتنة فى المنطقة ؟؟).
أكثر الحلول قربا وسهولة هو (عرقنة) أفغانستان .. فهل ستكون القاعدة هى حامل لواء تلك الخبرة المذهلة إلى أفغانستان؟؟. وهى إن فعلت / ونرجوا أن لا تفعل/ فلن تكون لوحدها فى تلك الساحة، فهناك العديد من القوى التواقة منذ زمن إلى ذلك الدور.
سؤال آخر وأخير حول هذه النقطة:
هل وافق (أميركم) الملا محمد عمر على تلك الحرب المعلنة مسبقا على إيران؟؟. وبما أنكم تعملون "رسميا على الأقل" تحت إمرته وبين صفوف مجاهديه، ولكم إعتبار عالي فى الساحة الدولية، أى أنكم لستم مجاهدين عاديين، فهل تم إعلان الحرب هذه بعد التشاور مع "أمير المؤمنيين"، أم أنكم لا ترون ضرورة لذلك، وأنكم ما زلتم تمتلكون الحق فى إعلان الحروب وعقد إتفاقات السلام من فوق أرض أفغانستان وبدون الرجوع إلى أحد حتى لو كان بدرجة "أمير مؤمنين" ؟؟.
وهل نحن فى أنتظار 11 سبتمبر أخرى قادمة بعد رحيل الأمريكيين، وربما حتى قبل ذلك؟؟. بمعنى آخر: هل ما زالت سياسة التوريط معتمدة لديكم،وأنكم بواسطة تلك السياسة التى أثبتت فاعليتها فى 2001 ، ستظلون أصحاب الحل والعقد فى أفغانستان ؟؟. وهل تعلمون عواقب ذلك عليكم وعلى الجميع ؟؟.
هذه الأسئلة أرجو أن يكون لها إعتبار لديكم، ولا تأخدوا الأمور بهذه الخفة، فأنتم فى منطقة جدها جد وهزلها جد.

قلتم أخى العزيز أن (إيران "دولة" شقاق). فهل يعنى ذلك أن صف الدول الإسلامية متحد ولا ينقصه سوى أن تنتظم "دولة" إيران فى ذلك الصف الرائع؟؟.
أقول لك أن الصف الرسمى الإسلامى متحد فعلا على شيئ واحد ومختلف على كل ما سواه. الإتفاق هو على قهر الشعوب والزحف الحثيث صوب إعتراف جماعى وتطبيع شامل مع إسرائيل. المنفذ سيكون عبر إعتراف جماعى من منظمة المؤتمر الإسلامى يأتى فى أعقاب إعتراف شامل من جامعة الدول العربية. وهو قرار ينتظر الظروف المواتية، وبالأحرى وصول الضعف والتفكك الشعبى العربى والإسلامى إلى درجة معينة تسمح بإختراق جدار المستحيل. وهذا ليس بالمستحيل، مالم تحدث طفرة إسلامية شعبية وهو أمر ممكن جدا. أو أن يحدث إنهيار درامى فى الوضع الأمريكى أو الإسرائيلى أو كليهما، وهذا أيضا أكثر إحتمالا من سابقه.

من المعروف أن إيران لو أبدت إستعدادا واضحا للسير فى هذا الطريق، طريق الإعتراف بإسرائيل، لإنفتحت أمامها كافة سبل السعادة. ولأصبح لها برنامجا نويا مسكوتا عنه كما لباكستان.
هذا هو الباب السحرى أمام إيران/ إضافة إلى البوابة الأفغانية التى تحدثنا عنها/ ولكن إيران ما زالت تمانع وتشق الصف الإسلامى فى تلك النقطة تحديدا.
فهل من مصلحتنا إعادتها إلى ذلك الصف المنحرف كى تكتمل علينا المصيبة؟؟.
لاشك أن إيران "الدولة المنشقة" أفضل لنا ولجميع المسلمين من إيران تلك "الدولة الملتحقة" بصف العار والخيانة، كما كانت فى عصر " الشاة" السابق أقوى حلفاء إسرائيل فى زمانه. أو كما هى تركيا ذات الإسلام الحداثى الآن وإسلام الخلافة سابقا، والتى تعمل فى مجال (القوادة السياسية) حاليا لمراودة وجلب العرب المتمنعين إلى وكر رذيلة الصلح مع إسرائيل.

قلتم: **(إن إيران تتظاهر بالإسلام، وتحارب المسلمين وأهل السنة فى إيران والعراق، وساعدوا الأمريكان فى دخول أفغانستان والعراق بالميليشيات التى إرتكبت المجازر، وسجنوا مجاهدينا. بيننا وبينهم عداوة لما يفعلونه بأهل السنة، ولا إتفاقات أو مصالح مشتركة، ونحن فى إنظار الوقت المناسب للقيام بعمليات فى بلادهم).**
هذا كلام هام جدا. ويحتاج إلى تفكيك حتى نتلمس طريقنا خلاله.
أولا: مسألة (التظاهر بالإسلام) تعنى أن هناك معيارا واحدا لفهم شامل للإسلام متفق عليه بين المسلمين. وهذا غير صحيح حتى داخل كل فريق إسلامى على حدة. ولاتنسى أن قطاعا كبيرا من المسلمين السنة لم يعجبهم نظام الإمارة الإسلامية ونعتوه بأنه "غير إسلامى".
وبالنسبة لنظام الحكم فإن الوسيلة الأسلم للحكم عليه هو تطبيقه لقوانين الإسلام التى لاخلاف عليها. ثم تحقيقه لمصالح مواطنيه الأساسية. وهذا مبدأ عام فيه تفاصيل كثيرة.
ثانيا: مواقف إيران من العراق وأفغانستان وحتى أهل السنة داخل أراضيها لاينبغى النظر إليها بإعتبار إيران (دولة شيعية) بل الأصوب هو النظر إليها كإيران (الدولة) فقط. فذلك الكائن العجيب المسمى "دوله"، له قوانينه الغالبة بصرف النظر عن أى هوية دينية أو أيدلوجية أو سياسية. فطبيعة الدولة أقوى من كل ذلك ومسيطرة عليه. والدولة لاتظل ملتزمة/ تمام الإلتزام/ بما أنشئت عليه من مبادئ وقيم ومثاليات.
حتى تلك الدول التى أقامها أنبياء لم تلبث مع الوقت أن تخلت تدريجيا عن مثالياتها الأولى، حتى تحولت فى النهاية إلى مجرد دولة تحتكم إلى القوانين الطبيعية لكيان الدولة، من حيث هى دولة، وفى مقدمتها البحث عن القوة والتمكين والتوسع.
"إبن خلدون"، ذلك العبقرى فى علم "الإجتماع السياسى" رأى فى العصبية الدينية وسيلة فعالة فى إقامة الدول وفى طول عمر إستمراريتها. وأنه حتى تلك الدول لاتلبث أن تعمل بالتدريج خارج مبادئها ومن أجل التمكين والتوسع والإستعلاء،

الذى ما أن تنجح فيه، حتى تخرج من مرحلة الخشونه والبداوة والمثاليات، وتدخل مرحلة الإستمتاع بالثروة ومباهج الحكم ، وتبدأ بذلك مرحلة الأفول والتفكك.
ونعود إلى إيران فنقول أنه لو كانت هناك دولة سنية فى نفس المكان لأرتكبت نفس ما نرى أنه أخطاء، وربما أكثر أو أقل، يعتمد ذلك على نوع المصالح من وجهة نظر تلك الدولة وليس من وجهة نظر ما تعتنقه من مذهب.

ولنقارن طريقتنا تلك فى القياس، عندما نتكلم عن السعودية ودول الخليج ومعظم الدول العربية وما ترتكبه يوميا من جنايات فى حق موطنيها من أهل السنة، وهم أغلبية المواطنين.. فنرى أننا نتهم هذ الحكومات بعينها ولا نتهم ما تعتنقه من مذهب/ كما نفعل دوما مع إيران/ ولو أننا مارسنا نفس الأسلوب فى إتهام مذهب كل دولة لما بقى هناك إسلام على وجه الأرض.
ونفعل ذلك مع الأفراد والجماعات، فالجناية أو المخالفة نعيدها إلى عين صاحبها فقط إذا كان سنيا. أما إذا كان شيعيا فإننا نوجه الطعن مباشرة إلى عين المذهب.
وهكذا غاب الإنصاف تماما عن ساحتنا الإسلامية ولا يكاد يوزن به عدو أو صديق. وهكذا أحيينا فساد ذات البين فيما بيننا. وهو ما وصفه رسولنا الكريم (بالحالقة) التى تحلق الدين. وقد "حلقنا" لأنفسنا بما فيه الكفاية حتى لايكاد يرى إلا القليل فى رؤوسنا.
ثم هناك "الحوار" بالتشهير والسخرية والتجريح ، خارج نطاق العلم أو الأخلاق. وذلك أسلوب رخيص جدا ومتاح لكل من تسمح له نفسه بإقترافة. ويمكن إستخدامة ضد جميع المذاهب والعلماء والشخصيات بدون إستثناء. ولو أن ذلك حدث وأصبح هو القاعدة ما بقيت هناك كرامة لعالم أو لمذهب أو لدين.
ولكن لحسن الحظ أن الذوق العام يمقت ذلك الأسلوب. ويسقط مستخدميه من الأعين فيعجزون عن إكتساب العقول . وإن كانوا ينجحون أحيانا فى إثارة قدر من الضغينة والحقد بين عوام الناس.
*   ونعود إلى مشكلة أهل السنة فى إيران فنقول أن كل أقلية فى أى دولة تشكل مخزنا لتوترات قائمة أو كامنة. وهذه مشكلة تشتد وتهدأ ولكن لاتزول. وذلك صحيح فى كل الدول ومهما كان نظام الحكم. ونظرة حولنا تظهر ذلك بوضوح.
وهناك أسباب لتفاقم مشكلة أى أقلية خاصة أذا تم إستغلالها من قبل قوة خارجية فى إحداث توترات ومشاكل داخل أوطان تلك الأقليات. وهذا قائم فى العديد من دول العالم حتى لو كانت كبيرة وعملاقة مثل الصين (مع أقلية الإيغور المسلمة). وكل أقلية تكون معرضة لتعديات داخلية على حقوقها، ومعرضة لإستغلال خارجى. وهنا تلعب قيادت تلك الأقليات دورا هاما فى إختيار المسار الصحيح لجماعتها بما يحقق أكبر قدر من المصلحة ويجنبها الكوارث التى قد تحيق بها.
و"أهل السنة" فى إيران تسرى عليهم نفس القواعد. قد لايكونون فى وضع مثالى ولكنهم بالتأكيد ليسوا فى الوضع الأسوأ بالقياس إلى دول المنطقة التى يشكل "أهل السنة" فيها أغلبية. ولننظر مثلا إلى تعامل دولة سنية مثل باكستان مع مواطنيها من السنة فى وادى سوات وفى وزيرستان فهل يمكن مقارنة ذلك مع أوضاع الأقلية السنية فى إيران ؟؟...

ومن المفروغ منه أنه إذا تحسن وضع أهل السنة فى البلاد العربية تحديدا فسوف تتحسن أوضاعهم حتما، ليس فى إيران فقط بل فى كل أرجاء العالم، حيث أن حقوقهم مهضومة فى كل الدنيا نتيجة لإنهيار أوضاعهم فى المنطقة العربية.
ومن غير المنطقى تشجيع "هل السنة" على حمل السلاح فى وجه حكومة إيران، فهذا قد يخدم مصالح دول كبرى فى العالم ولا يخدم أهل السنة فى شيئ. بل يعرضهم لعمليات قاسية من جانب نظام قوى لدولة ترى نفسها ملزمة بفرض القانون والنظام. فتكون معاناة أهل السنه مضاعفة فى إيران كما كانت منذ قليل فى الصين. والغيرة الحقيقية على مصالح أهل السنة فى أى مكان يكون التعبير الحقيقى عنها هو"أسلمة" نظم الحكم فى المنطقة العربية، فهى القلب النابض للإسلام. أما الجبن أو العجز فى ميدان المعركة الرئيسى فلايجب أن نعوضه بوضع السلاح فى يد الأقليات السنية فى دول قوية (مثل الصين أو إيران) فنعرضها لما هى فى غنى عنه، ولا تحتاجه سوى أمريكا فى برنامجها للسيطرة الكونية. فمأساة المسلمين فى العالم لايمكن حلها قبل حل مشكلة المسلمين فى المنطقة العربية التى هى قلب الإسلام (المتوقف عن العمل).
أم أن الجهاد عندنا ما زال بضاعة للتصدير إلى خارج المنطقة العربية عموما و المملكة السعودية خصوصا؟. فحتى المعركة الجهادية التى أعلنها الأخ العزيز أسامة بن لادن لتحرير الحرمين الشريفين، لم يتحمل مسئوليتها العرب بل تحملها الأفغان، بينما كانت وما زالت الطائرات الأمريكية التى تقتل الأفغان(والعراقيين) تدار من الأراضى السعودية.
ملخص الأمر أنه على العرب مسئوليات ضخمة مازالوا معرضين عن تحملها. ومن الظلم تحميل كل شيئ على عاتق المسلمين خارج المنطقة العربية أو الأقليات المسلمة فى العالم فنعرضها للإبادة، بينما شعوبنا تلهو بكرة القدم أو تتابع ما يحدث من فواجع للمسلمين عبر شاشات الفضائيات.

أما كلامك ،أخى العزيز، عن دور إيران فى التعاون مع الأمريكيين فى إحتلال أفغانستان وإخضاع العراق فذلك شيئ نتفق عليه بلا تحفظ ، بناء على إعترافات الرئيس السابق خاتمى وبناء على لقاءات التنسيق الأمنى بين الجانبين فى عهد الرئيس نجاد. ودور خاتمى ما زال هو الأخطر، حتى الآن، وبدون أن تحاكمة طهران علنا بتهمة الخيانة العظمى، فإن إيران (الدولة) ستفقد مصداقيتها فى العالم ، وإيران (النظام) ستفقد شرعيتها التى بنتها على أساس ثورة إسلامية معادية للإمبريالية الأمريكية.
أما الحديث عن أن إيران دفعت ميليشيات طائفية لقتل أهل السنة، فذلك قد يكون نصف الحقيقة . وقد يكون النصف الآخر لدى دول عربية دفعت هى الأخرى نحو إقتتال طائفى يحمى الجيش الأمريكى من ضربات المقاومة الموحدة لكل طوائف الشعب العراقى والتى تشكل خطرا أكبر على مصالح إسرائيل فى العراق. ولأجل تلك المصالح جاء الجيش الأمريكى إلى العراق وليس لأى مصالح أمريكية بما فيها النفط الذى لم يكن مهددا بأى حال.

وإذا كان هناك طرف فى العراق بدأ القتال على أساس طائفى، فإن ذلك لايعطى مبررا للطرف الآخر لأن يحول دفة القتال صوب الطائفية خاصة مع وجود قوات إحتلال على أرض الوطن. لذا أقول أن تنظيم القاعدة كان طرفا رئيسيا فى جريمة الإنحراف صوب الإقتتال الطائفى فى العراق، وذلك لايعفى الطرف الشيعى بأى حال سواء كان هو الطرف البادئ أو كان هو الطرف الآخر.
أما عن دور دول الجوار القريبة أو البعيدة فذلك دور منطقى نابع من (طبيعة الدولة) التى تميل إلى التوسع خاصة على حساب الجوار الضعيف أو المنهار كما فى العراق وأفغانستان. ومذهب الدولة أو نظامها السياسى يلعب دورا تابعا لتلك الطبيعة الإفتراسية المركبة فيها، وأعنى كل دولة يسكنها ويقودها بشر.
ولا أعلم حتى الآن دولة يسكنها ملائكة أو يحكمها أنبياء.

3 ـ حرب على حزب الله

عن حزب الله فى لبنان، قلتم: (أنكم لاتعتبرونه حزبا إسلاميا فهو حزب رافضى ولاؤه لإيران وليس لكم علاقة به).

أما قولكم ـ أخى العزيز ـ أنه حزب غير إسلامى، فهذا ما يخالفكم فيه معظم المسلمين بما فيهم قطاع من السلفية نفسها. كما أنه ليس من المناسب أن تظلوا ممسكين بأيديكم قدرة منح الصلاحية بالإسلام للمنظمات والدول والجماعات. فذلك دور لايوجد من هو مؤهل له/ منفردا / من بين المسلمين. خاصة مع تعدد المذاهب وتعدد المرجعيات وتنوع أحكامها حتى داخل كل مذهب. ولا يمكن لكم/أو لغيركم/ القطع بصحة إجتهاده الفقهى. فحتى عظماء المجتهدين من وزن الإمام الشافعى رضى الله عنه، كان يقول: (رأيى صواب يحتمل الخطأ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب).
والقول بأنه رافضى فذلك قول غير صحيح إذا كنت تعنى (الرافضة) بتعريفهم الموجود فى تاريخ الفرق الإسلامية، أما إذا كان ماتقول هو من باب التنابذ بالألقاب والذى يفسد ذات البين ويوغر الصدور ويفتح الباب لشياطان الفتن، فالقوم لديهم من مدفعية التنابذ وأقوال التشنيع ما يكفى ويزيد. ولاداعى لإيراده هنا فالمفروض أن نعمل سويا لتجميع شمل الأمة وليس تمزيقها.
أما عن ولاء حزب الله لإيران فله عدة وجوه:
أولا، أنه لو لم يراع الحزب خصوصية لبنان وطبيعة تركيبته الطائفية والسياسية، وإنفتاح لبنان على كافة التيارات والدول، لولا مراعاة تلك الخصوصية لما إستطاع أن يستمر أو أن ينجح كل ذلك النجاح الكبير عسكريا وسياسيا ، بل ويصبح أهم عناصر الساحة اللبنانية ويمتلك تأييدا كبيرا متعدد الطوئف فيكون بذلك مشروعا وطنيا لبنانيا جامعا.

وقد تجلى ذلك الوضع السياسى العبقرى فى عبقرية أخرى عسكرية عبرت عن نفسها فى إستراتيجية قتاليه ضد إسرائيل فى عام 2006. فقد إعتمد الحزب إستراتيجية دفاعية تعتمد الحرب الشعبية أسلوبا للدفاع عن أراضى الوطن اللبنانى (وليس الإيرانى ولا السورى). ومع كونها إستراتيجية دفاعية فقد إحتوت أسلوب الضربات الصاروخية الرادعة فوضعت إسرائيل جيشا وشعبا وحكومة فى أسوأ موقف لهم منذ إحتلالهم لأراضى فلسطين. وهذا إنجاز غير مسبوق ويحسب لحزب الله ولم يسبق إليه أى تنظيم مقاوم ضد إسرائيل ولا حتى الجيوش العرية مجتمعة.
ولا أدرى لمصلحة من نريد التغطية على كل ذلك بينما إعترف به العالم أجمع حتى اليهود أنفسهم.
أما عن تحالف حزب الله مع إيران (وسوريا) فإنه ليس عارا فى حد ذاته. فالتحالف هو أحد فنون العمل السياسى الهامة. وإليه يلجا الجميع، سواء الدول أو حركات التحرير والمقاومة. وحتى الدولة التى توصف بأنها "الأعظم" فى عالم اليوم هاجمتنا فى أفغانستان ضمن تحالف يضم خمسين دولة، بل أنه شمل العالم كلة فى حقيقة الأمر. ولم تكن قوات (القاعدة وطالبان) تستدعى كل ذلك الحشد، فقوات تحالف الشمال على هزالها قامت بالمهمة على أكمل وجه. وفى الحقيقة أننا هزمنا أنفسنا وهزمنا أفغانستان قبل أن تبدأ الحرب بوقت كاف.
التحالف يكون غالبا فى مصلحة طرفه الأقوى لذا فهو يحتاج من الأضعف إلى حرص شديد. ولكن إذا كان التحالف الخارجى يمكن الإستغناء عنه أحيانا فالتحالف الداخلى لايمكن الإستغناء عنه أبدا. وهو عنصر قوة كبيرة عند عقد تحالف مع طرف خارجى. وفى السنة النبوية المشرفة دروسا قيمة للغاية فى موضوع التحالفات الداخلية والخارجية، وينبغى دراسة ذلك بعمق شديد لأنها دروس صالحة للإستخدام الفورى فى حياتنا المعاصرة وظروف المسلمين الحالية.
ولا أظن أن تنظيم " القاعدة" يمانع لو أتيحت له فرصة التحالف مع دولة سنية قوية تكون له سندا سياسيا وماليا بل ومرجعية دينية. وهذا ما توفر له مع السعودية فى المرحلة الأولى لبناء التنظيم وقت الحرب مع السوفييت فى الثمانينات الماضية. وهو ما سعى إلى حد ما لأن يبنيه مع باكستان فى فترات مختلفة.
ولو أننا إستيقظنا من النوم صباحا فوجدنا حكومة البرازيل تؤيد مطالب الشعب الفلسطينى فى (التحرير والعودة) لجعل ذلك من البرازيل تلقائيا وفى الحال حليفا لكل الشعوب العربية ولكل حركات الجهاد والمقاومة (ما عدا القاعدة طبعا).
ونفس الشيئ سيحدث إذا قامت حكومة أخرى فى العالم، أوحكومة دولة إسلامية، بتبنى نفس الحقوق والمطالب. فلماذا يكون الحظر مفرضا على إيران تحديدا ؟؟.
الإجابة واضحة وهى أن إيران هى الدولة الوحيدة فى العالم ، من خارج المنطقة العربية، والتى تتبنى علنا مطالب الفلسطينيين كاملة. هذا هو الواقع/ بكل أسف أو بكل سرور/ لكن هذا هو الواقع. وبدلا من أن نضيف دولا أخرى إلى ذلك الموقع، تسعى دول الإعتدال العربى والسلفية الجهادية معها إلى طرد إيران منه.
.. والسؤال هو .. لماذا ؟؟. وليت أن السعودية القائد المزور لأهل السنة والجماعة تتبنى ذلك الموقف بدلا من موقفها الحالى الذى يفتح أبواب العالم الإسلامى كله أمام

إسرائيل، بل أن النظام السعودى على وشك أن يفتح أبواب المدينة المنورة وحتى مكة المكرمة أمام دولة اليهود.
ولايعنى كون البرازيل/ أو إيرن/ تؤيد الحقوق الفلسطينية كاملة أنها يمكن أن ترسل جيوشها من أجل القيام بواجب التحرير أو المساعدة فيه.
(وباستثناء محدود لروسيا الإتحادية فى جورجيا) فالحقيقة الناصعة فى الموقف الدولى الراهن تقول بأنه لا توجد أى دولة فى العالم يمكنها تحريك جيوشها إلى خارج حدودها الوطنية إلا فى إطار مهمة مسموح بها أمريكيا أو فى مهمة ضمن إطار برنامج تقوده الولايات المتحدة. فما بالك بمهمة ضد إسرائيل، وما أدراك ما إسرائيل وأهميتها للولايات المتحدة. بل أن الكثير جدا من دول العالم تكون فى حاجة إلى إذن أمريكى حتى لتحريك جيوشها داخل حدودها الوطنية. وأكاد أزعم أن /كل أو معظم/ الدول العربية تنتمى إلى ذلك الصنف من أشباه الدول.
يعنى ذلك أن حلفاءنا فى الموضوع الفلسطينى/إن وجدوا/ لهم إمكانية فعل محدودة بقيود أمريكية خطيرة يعملون لها ألف حساب، ولكنها لاتلغى دورهم بالكامل. وهذا ما يبرهن عليه حزب الله. فالحليف البعيد يظل حليفا بعيدا وله دور محدود. ولكن الطرف المحلى أو حركة التحرير إن كانت جديرة بموقعها فيمكنها تحويل ذلك القليل إلى فعل وتأثير عظيم.
وهنالك تأكيد آخر من تجربة الإتحاد السوفييتى الذى أمدنا قبل عام 1967 بأسلحة كانت تكفى لإحداث عاهة مستديمة بإسرائيل. ولكن جيوشنا وحكامنا لم يحاربوا فى واقع الأمر. وكانوا جاهزين ومنذ سنوات لشيئ واحد فقط وهو الفرار من أرض المعركة. كانت مهمتهم المقدسة (ومازالت) هى إزلال الشعوب والعمل مع العدو.
قلتم أنكم فى لبنان تؤيدون تنظيم "جند الإسلام" . وعرفنا إسم ذلك التنظيم خلال معركة "مخيم نهر البارد" للمهاجرين الفلسطينيين. وكانت معركة ضد الجيش اللبنانى أدت إلى تحطيم المخيم بالكامل تقريبا وتهجير سكانه. ولا أظن أن تنظيما سلفيا فلسطينيا فى لبنان يمكنه أن يعمل شيئا مفيدا لفلسطين أو لبنان، حتى لو ضم فى صفوفة مقدارا من اللبنانيين. ومعروف هو الدور الذى يمكن أن يلعبه تنظيم سلفى فى(بلاد الشام) خاصة إذا تحالف مع السعودية ورجالها هناك، وسجلاتهم النضالية والجهادية معروفة واضحة لجميع الناس ، خاصة فى حرب 2006 التى شنتها إسرائيل على لبنان. وغاية ما يمكن أن يصل إليه تنظيم كهذا هو أن يجد نفسه مجرد أداه فى يد قوة محلية تستخدمة فى برنامج فتنة طائفية.
قد تظنون أن التطابق/ فى "المنهج" و "العقيدة" إلى غير ذلك/ هو شرط لعقد التحالف. وهذا خطأ فالتحالف لا يستلزم التطابق، وهو فى غالبه إلتقاء مصلحة مشتركة بين طرفين حول برنامج واحد أو حتى نقطة واحدة فى لحظة تاريخية محددة. ولا يشترط حتى أن يكون الطرف المشارك لنا مسلما. وحتى إن كان مسلما فيكفى اللقاء على ظاهر الإسلام والمصلحة المشتركة، وليس تفاصيل العقائد والفقه. ولو تمعنا فى غزوة أحد وإنسحاب ثلث الجيش الإسلامى قبل بدء المعركة لعلمنا أن حوالى ثلث المدينة كان من المنافقين والخاضعين لسلطانهم. ومع ذلك كان التعامل معهم يتم على ما يظهرونه من إسلام وليس على ما يبطنونه من الكفر.

ونحن أثناء وجودنا فى بلاد الأفغان لم ننجح فى عقد تحالف معهم رغم تطابق المصالح والإنتماء المشترك إلى المدرسة السنية. وسبب الفشل هو إختلاف "العقيدة" و"المنهج". فنحن لانعترف بإمكان الإختلاف بين المسلمين فى تلك الأشياء التى هى موضع خلاف فى معظم فترات التاريخ الإسلامى. وهى أشياء غير ضرورية إطلاقا فى عقد تحالف بين طرفين(على شرط أن لا يكون التحالف بين طرف مسلم وطرف كافر وموجها ضد طرف مسلم آخر كما حدث مثلا بين إيران والأمريكيين ضد حركة طالبان والمجاهدين العراقيين . أو كما حدث بين دول عربية كثيرة منها الكويت والسعودية ودول الخليج ومصر ضد المسلمين فى العراق وفلسطين وأفغانستان) .

أما عن قولك ـ أخى العزيز ـ أن لا علاقة لكم بحزب الله، فهذا صحيح. ولكن هل إذا جاء "الجيش الأحمر اليابانى" مرة أخرى وقام بعملية إنتحارية داخل إسرائيل، كما فعل فى السبعينات الماضية، فهل علينا أن نشجب فعلته ونؤكد على كفره وبراءتنا منه وخلافنا العقائدى والمنهجى معة ونؤكد على قطع صلاتنا به ونطبق عليه مفهوم "الولاء والبراء" ؟؟.

الإجابه هى أننا غالبا سنفعل ولكن معظم المسلمين سيخالفوننا فى ذلك.

وكان الأجدر هو أن ندعو " للجيش الأحمر اليابانى" بالنصر على اليهود، وأن نبحث عن وسائل دعمه بالمال والسلاح والمتطوعين.

فكيف نتصور أن الأمة الإسلامية سوف تتبرأ من حزب الله وتفعل مثلنا وتؤكد على قطع علاقتها به ؟؟.

لماذا ؟؟. هل لأنه ضرب إسرائيل بثلاثة آلاف صاروخ، وكسر جيشها وأحرقه على أرض الجنوب، وحشر شعبها فى ملاجئ تحت الأرض لمدة شهر،لأول مرة منذ إغتصابهم لأرض فلسطين؟؟.

كان الأجدر أن ننسجم مع موقف شعوب المسلمين والعالم. ونعبر عن تقديرنا لحزب الله وأن نمد له يد العون / إن كان فى مقدورنا ذلك/ ونوجه له الشكر وندعو له بالثبات، وأن نفهم تهمة (رافضى) فى حالته تحديدا أنها تعنى رفض الإنصياع لإسرائيل والولايات المتحدة كما فعلت جميع حكوماتنا العربية .. وكلها من "أهل السنة والجماعة" وليست رافضية ولا رافضة للتبعية !!.

وتقول فى موضع آخر أنكم تتفقون مع حماس فى "المنهج" ـ طبعا ذلك غير ممكن إذا كان إدراكنا صحيحا لمعنى كلمة "منهج" فى القاموس السلفي.

وأيضا طبقا لكلمة سابقة للأخ العزيز "أيمن الظواهرى" عزى فيها الأمة فى وفاة حركة حماس.

ولكن إذا كان هناك إتفاق فى المنهج كما تقول ، فكيف أن حركة حماس فى توافق بل أكاد أقول فى تحالف عميق مع حزب الله ؟؟.

السعودية وقلوب المسلمين:

عند إجابتكم عن سؤال حول موقفكم من السعودية واستراتيجيتكم بعد الفتور الذى إنتاب عملكم هناك. كانت إجابتكم مفاجئة، عندما قلتم أن " للسعودية" منزلة عظيمة فى قلب كل مسلم. وأحسب أن ذلك موقفا سياسيا وليس دينيا.
فالذى له منزلة عظيمة فى قلب كل مسلم هو الحرمين الشريفين أولا، ثم تلك الأراضى المقدسة التى حرمها الله على غير المسلمين.
أما "السعودية" فهى نظام غير شرعى لا يحظى بأى قدسية لدى المسلمين وهو نظام محتقر من شعوب العالم. فتلك العائلة وصلت إلى الحكم بواسطة ذهب الإنجليز وبنادقهم. فحركوا القبائل لطرد الحكم العثمانى الذى كان يمثل رابطة دينية سياسية جامعة للمسلمين ، تحمى مقدساتهم وأراضيهم خاصة فى الحجاز وفلسطين التى كان اليهود يراودون عنها الباب العالى فى تركيا.
إختفى الأتراك وجاء عملاء الإنجليز. تماما كما فعل الإنجليز عندما فرضوا " نادرشاه" على رقاب الأفغان فى بدايات القرن الماضى وكما فرض الأمريكيون "كرزاى" فى بداية القرن الحالى... فأى قدسية أو شرعية لهؤلاء الحكام جميعا؟؟.
وكيف تنسب بلاد وشعب فى عصرنا الراهن إلى عائلة حاكمة؟.. فالسعودية هى الوحيدة فى هذا الشأن من بين دول العالم. فكيف ينسب شعب إلى حاكميه وكأنه عبد لهم، كما كان ينسب "المماليك" إلى أسيادهم فى العصور الخالية. فكان هناك المماليك "الناصرية" و"المعزية" و"البكتاشية".. واختفت السلسلة الإستعبادية حتى بعثها من مرقدها آل سعود فأظهروا لنا "المماليك" " أو "المملكة السعودية".
إن الشعب المسلم لايمكن أن يسبى بهذا الشكل وتمتلك رقابه عائلة إحتكرت كل شيئ.. السلطة السياسية والثروة النفطية.. وحتى المقدسات التى تستثمرها كمشروع سياسى تجارى و(سياحى !!) يدار لمصلحة العائلة وكبار المتملقين.
ثم كانت مفاجأة قولكم أنه منذ البداية كان هدفكم الأمريكان والنفط. وفهمت من ذلك / وأرجو أن أكون مخطئا كالعادة/ أن إسقاط النظام ليس هدفكم وأن الأجهزة الأمنية المدافعة عن النظام وعن المحتلين هى الأخرى خارج الإستهداف.
لا إعتراض لى على ذلك حيث لا علم لى بأعماق "المنهج" الذى تشيرون إليه دوما ولا فهمكم "للعقائد". ولكن أسأل فقط عن سبب تأييدكم لإستهداف أشخاص الحكام وأجهزتهم المسلحة عندما كانت المجموعات السلفية تعمل فى مناطق بعيدة عن المملكة(العزيزة على قلب كل مسلم) مثل الجزائر وليبيا ومصر والصومال ثم العراق وباكستان وأفغانستان؟.

لقد كانت دعوة الأخ العزيز (أبوعبدالله) إلى الجهاد لإخراج المشركين من جزيرة العرب ـ كما ورد فى بيانه الأول الصادر من جبال " تورابورا" فى عام 1996 . قد تطورت إلى دعوة شاملة لتحرير المقدسات الإسلامية من جزيرة العرب إلى فلسطين. ولكن عمليات "القاعدة" بدأت أولا من أفريقيا ثم فى ميناء عدن وصولا إلى "غزوة منهاتن" فى 11 سبتمبر 2001. ثم إنتهت إلى الدعوة إلى قتال الأمريكان فى "الجبهات المفتوحة" فى العراق وأفغانستان.

وفى الجبهات المفتوحة تلك، شعوب هى غاية فى الحيوية والشجاعة ولديها من القيادات الكفؤة ما يكفى وزيادة وهى بالفعل ليست فى حاجة إلى دعم "القاعدة".
هذا بينما المقدسات الإسلامية فى جزيرة العرب تحديدا، لايكاد يهتم بها مسلم، لا من أهل المنطقة ولا من خارجها.
فجزيرة العرب محاصرة بالأساطيل الغربية. و"السعودية" مهددة بالتقسيم بحيث تحصل إسرائيل على (حقوقها التاريخية) فى شمالها، وتحصل أمريكا على مشيخة نفطية(شيعية) فى الشرق، أما الصحارى فتترك للقبائل لرعى الأغنام، واليمن يضيع دمه بين بقايا القبائل المتناحرة.
أما على الجانب الإفريقى المقابل، فالمأساة لاتقل بشاعة وهى متكاملة مع مأساة جزيرة العرب.
فالسودان يقسم إلى أربعة دول على الأقل ونفطة يذهب إلى شركات النفط العملاقة. والصومال مقسم حاليا بالفعل ولكنه متروك حتى تنزف قبائلة آخر نقطة من الإسلام فيصبح القرن الأفريقى خاليا من القبائل الإسلامية المقاتلة. وإن بقى به شيئ فليكن بقايا من أشباه البشر الجوعى. وهذا مطلوب فى اليمن أيضا وهو أمر ضرورى لتأمين المخطط الدولى فى جزيرة العرب وأفريقيا معا. أى أن تصفية القبائل الإسلامية المقاتلة مطلوب على ضفتى المياه العازلة بين أفريقيا وآسيا..
ثم مطلوب من أفريقيا تسليم مياه النيل لإسرائيل وأوروبا. وتسليم ثروتها الزراعية الهائلة لشركات يهودية وأمريكية.
كل ذلك ونحن نمثل دورا حفظناه وأجدناه.. دور (دون كيشوت) الفارس الذى يحارب معارك وهميه مع أعداء متوهمين تمثلهم مراوح طواحين الهواء... يخلقون لنا طواحين ونحن نقاتلها ببساله. فعلينا الآن ترك كل تلك الأهوال كى نقاتل (المد الشيعى) و (الخطر النووى الإيرانى) و (أطماع إيران فى العالم العربى) .. تلك هى الطواحين.. فليمتشق الفرسان سيوفهم!!.

لماذا الإصرار على أن نرقص وفق ألحان العدو؟. أى أن نفعل ما يريد منا العدو فعله .. ونسير وفق إشاراته وتوجيهاتة المباشرة وغير المباشرة.
فإذا أراد أن يصور القاعدة على أنها العدو العالمى الجديد الذى أخذ مكان الإتحاد السوفيتى، فرحنا بذلك ورحنا نؤكد الكذبة الكبيرة، وقلنا أننا جيش جرار متواجد فى كل مكان وينقل قواته بكل سهولة بين "الجبهات المفتوحة" عبر القارات. ثم نستعير قدرات الأمة ورعشات موتها وكأنها قدرات "التنظيم" الذى يدرى العدو مثلنا وأكثر مدى قدراته المتواضعة إلى حد الكفاف. فهناك فرق هائل بين الأمة والتنظم. فليس كل ما تقوم به الأمة يكون من أعمال التنظيم، حتى وإن شاركت عناصر قليلة منه فى ذلك العمل.
ومع هذا فلا يضر أى تنظيم أو جماعة أن تكون قليلة العدد أو متواضعة الإمكانات. فالنوعية هى الأهم، والجماعة هى أن تكون مع الحق ولو كنت وحيدا.
فكم من الجماعات الإسلامية قديمة وجديدة، كبيرة صغيرة، وجميعها تدفع الموقف الإسلامى بإضطراد نحو الأسوأ .

فلا معنى لإخفاء حقائق ندرى أن العدو يعلم تفاصيلها. بينما الإخفاء يضر بمصالح المسلمين الذين يجب أن يعلموا بها حتى يتبينوا ما يترتب عليهم من واجبات.

الجبهات المفتوحة والضربات فى العمق:

أما قولك أنكم قد توقفتم عن العمليات فى الداخل الأمريكى لأن الجبهات المفتوحة تؤدى الغرض فهو كلام يحتاج إلى وقفة. لأنه إما أن يكون تهربا من إعطاء الإجابة الصحيحة، وذلك جائز فى دنيا البيانات الصحفية، أو أنه عدم فهم لسياسة الضربات فى العمق. وهى فلسفة تختلف لدى حركات المقاومة وحروب المطاريد عنها لدى الدول والجيوش النظامية.
فالجبهات المفتوحة تمكن من الإحتكاك بجنود العدو والنيل منهم. ولكن الضربات فى العمق يكون المدنيين لدى العدو هم الهدف الأساسى منها، يليه الإقتصاد والتماسك الداخلى والعلاقة بين النظام ومواطنية وتمييز المواقف بينهما، أى إحداث شق داخلى بين المجتمع والنظام الحاكم.
حماية الجبهة الداخلية من أمثال تلك العمليات مكلف جدا إقتصاديا ويوسع نطاق المعركة فيحرم العدو من تركيز قواه المسلحة وموارده فى المواضع المرغوبة لكسب المعركة. وفى هذا كلة ضغط على أعصاب القيادة مفيد لأعدائها.
والأغلب أن تستخدم أمثال تلك العمليات فى أوضاع العرب والمسلمين، كابحا لإندفاع العدو من التنكيل بالمدنيين عندنا فى حروبه المفتوحة وهى متعددة كما نرى.
أو تدميره لمواطنينا عبر الحرب المستترة التى من أهم صورها الحصار الإقتصادى الذى أودى بحياة 1,5 مليون مدنى فى العراق على مدى أكثر من عقد من الزمان سبق الحرب المكشوفة وعملية الغزو عام 2003 -
وعانت أفغانستان من الحصار والحرب غير المعلنة بأنواعها غير التقليدية ولكن لا أحد يهتم برصد ومتابعة ما يحدث أو حدث هناك منذعام 1992 وحتى الغزو الأمريكى عام 2001 -
أما ضرب الجيوش المعادية للمدنيين فى إطار مكافحة حروب المطاريد (العصابات) فهو إجراء روتينى للغاية و يطلقون عليه إسم "سياسة الأرض المحروقة" إى إجبار السكان على ترك المناطق التى ينشط فيها المقاومون، أو لإجبار السكان أنفسهم على التصدى للمقاومين لمنعهم من إستخدام مناطقهم خوفا من عقاب الجيش الحكومى.
يمكن أن يتحمل المقاومون تلك السياسات ويعملون على إبطالها أو تقليل آثرها بإجراءات معاكسة معروفة. ولكن إذا تمادى العدو بشكل خطير عندها لابد من التفكير فى إجراء غير تقليدى، وإشهار سيف الردع والتوجه إلى عمق العدو بتلك الإجراءات.
ذلك يحتاج إلى تفكير سياسى عميق من قبل القيادة السياسية لتفادى الآثار السلبية.

وبشكل تلقائى يجادل كثيرون بأن ذلك يفقد الحركة التعاطف الدولى لها وحتى تعاطف قوى معتدلة فى مجتمعات العدو.
يكون ذلك المنطق معقول أحيانا، ولكن فى أحيان أخرى يكون عديم القيمة فى مقابل إبادة جماعية يتعرض لها مواطنونا.

هذا يحعلنا نتساءل عن الدافع لعمليتكم فى 11 سبتمبر. وأظن أنكم قد نسيتم كما نسى ذلك معظم الناس أيضا.
فهل كانت لأجل تحرير المقدسات الإسلامية التى طالب بها الشيخ أسامة فى بيانه الشهير بإعلان الجهاد على المشركين المحتلين لجزيرة العرب؟.
أم لأجل الإنتقام لمن قتلتهم أمريكا فى حصارها للعراق؟.
أم لإستدراج أمريكا إلى حرب مكشوفة على أرض أفغانستان والعراق، حروب يكون فيها الكفاية لنا عن تكبد مشقة الذهاب إلى بلادهم، وتوفر علينا ثمن تذاكر السفر؟.
إذا كان الهدف معلوما بدقة عندها يمكن وضع خطة، أى خطة.
أما إذا كان الهدف يتغير عند كل تصريح فلن تكون هناك خطة من أى نوع وسيصبح الأمر مرتجلا ولمجرد ملء وقت الفراغ بين تصريحين. ويمكن فتح جبهة جديدة مع كل تصريح. أما إذا كان اللقاء الصحفى طويلا فيمكن ملئة بإعلان عدة حروب مرة واحدة، حسب الوقت المتاح أمامنا.
وللعلم فإن المشركين لم يخرجوا من جزيرة العرب. بل زادت أعدادهم وتعددت جيوشهم وزادت كنائسهم فيها. والمقدسات الإسلاميه هناك أصبحت مهددة أكثر من أى وقت مضى. واليهود يراودون جلالته عن مكة والمدينة. وجلالته غير ممانع أبدا فهو صاحب عقيدة سمحة ومريحة مع اليهود والنصارى أما مع باقى المسلمين فإنه وجماعته ينبرون لهم بكل العنف الكامن فى عقيدة الولاء والبراء.
وقبائل المسلمين المقاتلة يجرى تصفيتها بلا هوادة فى حرب طويلة المدى ممتدة من الصومال إلى اليمن إلى وزيرستان وأفغانستان. فلا مكان فى عالم اليوم إلا للفرد المستأنس. الذى لايجيد الضرب إلا بسيف الجدال الفارغ وحروب الوقيعة والفتن الدائمة والمتحركة عبر بلاد المسلمين.
أقول لك سرا:
إنه على الرغم من كل شيئ ورغما عن كل ما حدث فإن الأخ أبو عبدالله يمكنه فعل الكثير لوقف جزء من المهزلة الجارية وذلك بشروط:
1 ـ أن يبتعد عن الشرنقة المريبة التى تكبله وتجعله تحت الرقابة والتوجيه الأمريكى منذ أن كان فى أفغانستان. وزادت الشرنقة كثافة بعد مغادرته أفغانستان إلى باكستان. وأنت أدرى بمن هم فى باكستان.
2 ـ أن يبتعد عن التأثيرات الضارة للجيش الدينى الملكى، فى نواحى الفقه والتوجيه السياسى والتمويل.

3- أن يرمى بنظرة إلى إتساع الأمة الإسلامية وتنوعها الثقافى والجغرافى. ولا يحصر عقله وعملة فى نطاق غاية الضيق يجعلة فى عزلة وحصار سوف يضر به أولا ثم بدوره المنشود ثانيا.

4 ـ أن يعود أبوعبدالله إلى (سلفية الجهاد) بديلا عن (الجهاد السلفى). وسلفية الجهاد تعنى أمميته، إنه (الجهاد الأممى) الذى يشمل جميع أمة الإسلام بلا تمييز أو تفرقة. فهكذا كان وقت السلفية الحقيقية،أى فى عهد الأجيال الثلاث الأفضل فى هذه الأمة. أما (الجهاد السلفى) فهو جهاد طائفة بعينها لاتقبل إسلام ولا جهاد أحد غيرها، فذلك لا أعرف له سابقة فى تاريخنا إلى أن ظهرت تلك (السلفية الجهادية)، التى يعانى منها المسلمون أينما ألقت مراسيها.

نعود إلى ما أسمته أدبياتكم (غزوة منهاتن) أو (عاصفة الطائرات). ولنفترض أنها كانت محاولة للردع ردا على مجازر الأمريكيين فى العراق عبر الحصار الإقتصادى الطويل. فنقول أن ردات الفعل الأمريكية التى تلتها أثبتت شيئين:

1 ـ أن ردات الفعل كانت من العنف والعمق بحيث طالت قطاعا بشريا واسعا سواء من التابعين للتنظيم أو القريبين منه أو المتعاطفين معه أو المشتبهين أو من المحتمل أن يشتبه بهم حاليا أو فى المستقبل البعيد. ومن ذلك الصنف الأخير سقط معظم الضحايا.

2 ـ أن التفكير فى عمليات معقدة كهذه تحتاج إلى أعداد كبيرة من البشر، والكثير من الأموال، والكثير من الحركة عابرة القارات، والكثير من التدريب خارج قدرات التنظيم، مثل التدريب على قيادة الطائرات. كل ذلك لفت أنظار جواسيس العدو بل وأثار شهيتهم إلى (المشاركة) الفعالة فى التخطيط والتنفيذ. ومن ثم الإستئثار بجنى الفوائد وتسخير العملية كلها فى إطار الإستراتيجيات الكبرى للمحافظين الجدد داخل الولايات المتحدة وعبر العالم.

لقد إنطلق التصعيد الجنونى فى نفقات وإجراءات الأمن داخل أراضى العدو وعبر العالم كنتيجة لأحداث سبتمبر. وجعلوا منها ذريعة لزيادة خيالية غير مسبوقة فى التاريخ، فى أرباح الإحتكارات الصناعية العظمى العاملة فى مجالات الأمن والدفاع.

ما سبق يفرض مسارات إجبارية على عمليات الردع مستقبلا مثل:

1 ـ أنها قد خرجت من قدرة التنظيمات الكبيرة ، معروفة القيادة ومواضع التواجد والتمركز، لتتجه نحو (بثور المقاومة) وهى صغيرة الحجم جدا بحيث قد يصل حجم الواحدة منها إلى شخص واحد. وهى منتشرة بشكل غير مسبوق على مساحات جغرافية عابرة لكل القارات.

2 ـ وطبيعى أن يكون السلاح البيولوجى هو الأكثر مناسبة فى تلك الحالة نظرا لمزايا كثيرة أصبحت معروفة ومتداولة. فهو سلاح رخيص مرن للغاية سهل التحضير والنقل والإستخدام.

وهكذا تفرض كل معركة قوانينها الخاصة وفقا لقانون الفعل ورد الفعل.

أخى الشيخ سعيد ..

لعلكم أسعد الناس حظا بوجودكم فى ساحة الجهاد، خاصة فى أفغانستان "مقبرة الغزاة" ، التى لانشك فى أنها مقبرة الإمبراطورية الأمريكية، "إمبراطورية العار"، وآخر إمبراطورية فى حياة "حضارة الشر" التى تعصف بالإنسانية منذ غاب عنها الإسلام.

كنا نتمنى أن نكون معكم حيث الجهاد والحرية. فالشئ الأسوأ من الموت هو أن تفقد حريتك أو أن تبتعد قسرا عن الجهاد.

ندعوا الله لكم ولجميع المجاهدين بالنصر والتمكين.

وتقبلوا تحيات أخيكم المزعج.